سورة المنافقين

[٩٤١] أخرج البخاري وغيره(١) عن زيد بن أرقم قال سمعت عبدالله بن أُبي يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك للنبي [ﷺ] فدعاني النبي [ﷺ] فحدثته فأرسل رسول الله [ﷺ] إلى عبدالله بن أُبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني وصدقه فأصابني شيء لم يصبني قط مثله فجلست في البيت فقال عمي ما أردت إلا أن كذبك رسول الله [ﷺ] ومقتك فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾(٢) فبعث إلى رسول الله [ﷺ] فقرأها ثم قال: **«إن الله قد صدقك»** له طرق كثيرة عن زيد وفي بعضها أن ذلك في غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً.

[٩٤٢] وأخرج ابن جرير عن قتادة قال قيل لعبد الله بن أُبي لو أتيت النبي [ﷺ] فاستغفر لك فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾(٣) الآية. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله.

[٩٤٣] ك.. وأخرج(٤) عن عروة قال: لما نزلت: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾(٥) قال النبي [ﷺ]: **«لأزيدن على السبعين»** فأنزل الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾(٦) الآية. ك.. وأخرج عن مجاهد وقتادة مثله.

[٩٤٤] ك.. وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزلت آية براءة قال النبي [ﷺ] وأنا أسمع: **«أني قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم»** فنزلت.

* * *

---

[٩٤١] (١) ورواه الترمذي في سننه (٣٣١٢و ٣٣١٤) والواحدي في أسباب النزول ص (٢٤٣).

(٢) سورة المنافقون: الآية (١).

[٩٤٢] (٣) سورة المنافقون: الآية (٥).

[٩٤٣] (٤) رواه ابن جرير (١٠/١٣٨).

(٥) سورة التوبة: الآية (٨٠).

(٦) سورة المنافقون: الآية (٦).

(٦٣) سُورَةُ المنافقون مَدَنِيَّة وآياتها إحدى عشرة

● سورة « المنافقون » مدنية ، شأنها شأن سائر السور المدنية ، التي تعالج « التشريعات والاحكام » وتتحدث عن الاسلام من زاويته العملية وهي القضايا التشريعية .

● والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث بإسهاب عن النفاق والمنافقين ، حتى سميت السورة بهذا الاسم الفاضح ، الكاشف لاستار النفاق « سورة المنافقون » .

● **تناولت** السورة الكريمة في البدء أخلاق المنافقين ، وصفاتهم الذميمة التي من أظهرها الكذب ، ومخالفة الظاهر للباطن ، فإنهم يقولون بألسنتهم ما لا تعتقده قلوبهم ، ثم تآمرهم على الرسول ﷺ وعلى المسلمين ، وقد فضحتهم السورة وكشفت عن مخازيهم وإجرامهم ؛ فهم بتظاهرهم بالإسلام يصدُّون الناس من دين الله وينالون من دعوة الإسلام ما لا يناله المعلن لكفره ، ولذلك كان خطرهم أعظم وضررهم أكبر وأجسم « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً » .

● **كما تحدثت** السورة الكريمة عن مقالاتهم الشنيعة في حق الرسول ﷺ **واعتقادهم بأن دعوته ستضمحل وتتلاشى ، وأنهم بعد عودته** من « غزوة بني المصطلق » سيطردون الرسول والمؤمنين من المدينة

المنورة ، إلى غير ما هنالك من أقوال شنيعة .

● **وختمت** السورة الكريمة بتحذير المؤمنين من أن ينشغلوا بزينة الدنيا ولهوها ومتاعها عن طاعة الله وعبادته شأن المنافقين ، وبينت أن ذلك طريق الخسران ، وأمرت بالانفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله قبل أن يفوت الأوان بانتهاء الأجل فيتحسر الإنسان ويندم حيث لا تنفع الحسرة والندم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المنافقون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**، اختلفوا في تأويل قوله تعالى: **نشهد**. قال بعضهم: **نشهد**، بمعنى نُقسم ونَحلفُ، وقال بعضهم: **نشهد**، على ابتداء الشهادة. فمن حمله على القَسَم قرأ: اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً،[2] يعني حَلِفهم، ومن حمله على الشهادة ابتداءً قرأ: اِتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ [جُنَّةً]،[3] يعني تصديقَهم، ليس أنها قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فقرئت[4] بالمعنيين جميعا. *والله أعلم*.

*{قال الفقيه رضي الله عنه:} في قوله تعالى: **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله**: إن المنافقين لم يجيئوا بأجمعهم رسول الله صلى الله عليه سلم وإنما جاءه بعضهم. وكذلك في قوله: **نشهد**، لأن[5] المعنى من قوله: **نشهد**، في بعض التأويلات نُقسم،[6] [٨٠٦ظ س ٣٢

---

[1] ر – سورة المنافقون؛ ن: ذكر أن فيها سورة المنافقين؛ ث + وهي إحدى عشرة آيات مكية؛ م: ذكر أن سورة المنافقين مدنية.

[2] الآية التالية.

[3] *المحتسب* لابن جني، ٢/٣٧٧؛ ومعجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٩/٤٦٧.

[4] ن: فقرنت.

[5] ر م: أن.

[6] ن ث: يقسم.

والقسم ليس من فعل الأتباع والسفلة وإنما ذلك من فعل الأَجِلّة والرؤساء، فدل أنه إنما تعاطى هذا الفعلَ بعض المنافقين. ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل، فعُلم أنه ليس[1] كل ما خرج في الظاهر مخرجَ العموم يتناول كل من دخل تحت ذلك الاسم، ولكنه يُنظَر في معنى اللفظ وحقيقته. فإن كان الدليل يوجب تعميمه أجري[2] على عمومه، وإن كان يوجب تخصيصه
٨٠٦ظ س٣٨] أُجري[3] على خصوصه. *والله أعلم*.*

وقوله: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**. والإشكال أنْ كيف قال الله تعالى: **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، وهم إنما قالوا: **نشهد إنك لرسول الله**، ومعلوم أن هذا القول منهم صدقٌ؟ ولكن المعنى من هذا –والله أعلم– أنهم طُعِنوا فيما أظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسبوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون: **نشهد إنك لرسول الله**، وإنّ ما بلغك منا من القول كَذِب وما قلناه. فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون[5] فيما أخبروا أنهم ما قالوه، ألا ترى إلى قوله: يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ.[6] ويحتمل أن يكون معناه: إنا نشهد أن في قلوبنا إنك لرسول الله كما نظهره بألسنتنا. فأخبر تعالى: **إن المنافقين لكاذبون**، فيما يشهدون بالإيمان في قلوبهم. ويحتمل أن[7] يكون[8] المعنى من قوله: **نشهد**، أي نعلم برسالتك في قلوبنا. **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**، فيما أخبروا أنهم يعلمون رسالته في قلوبهم.
[٨٠٧ظ] وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الآيات والحجج، ولكن / تَعَامَوْا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنُّتا، فصار ذلك العلم كالجهل الحقيقي. ثم أخبروا[9] عن أنفسهم وضمائرهم أنهم يعلمون، وأخبر الله أنهم كاذبون[10] [في] أنهم يعلمون برسالته.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ن + كمثله.
[2] ن: أخرى.
[3] ن: أخرى.
* ورد ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا، انظر: ورقة ٨٠٦ظ / سطر ٣٢-٣٨.
[5] ر م: لكاذبون.
[6] سورة التوبة، ٩/٧٤.
[7] ر ث م: ويعلم أن؛ ن: في قلوبهم ويكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩و.
[8] ث – يكون.
[9] ر م: ثم أخبرهم؛ ث: أخبر.
[10] ر م: لكاذبون.
[11] ن: رسالته.

ثم الواجب أن يُعلَم ما الذي أحوجهم[1] إلى أن قالوا: نشهد إنك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يَلقَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك؟ فمعناه عندنا -والله أعلم- أنهم حيث اعتادوا مخادعة الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة. ويحتمل أن يكونوا جَرَوْا على عادتهم. وكان[2] من عادتهم[3] أنهم إذا لَقُوا المسلمين قالوا: آمنا بمثل ما آمنتم، وإذا لقوا المشركين قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزءون؛[4] فإذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا نشهد إنك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه. ***والله أعلم***. ويجوز[5] أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبُهم فكانوا إذا لقوه قالوا: نشهد إنك لرسول الله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه. ألا ترى إلى قوله: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ،[6] كانوا يحسبون من سوء ما يُضمرون في قلوبهم من النفاق أنَّ كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه[7] بسببهم، فكذلك الأول. ***والله أعلم***.[8]

ثم قال هاهنا: **نشهد**، و لم يقل: نشهد بالله لأن المعنى من هذا الحَلِفُ، والحلف من المؤمن[9] في المتعارف إنما يكون بالله تعالى فلذلك اجْتُزِئَ[10] بقوله: **نشهد**، عن قوله: بالله، فيكون هذا دليلا لقول أصحابنا: إن قوله: **نشهد**، يكون يمينا حيث ذُكر هاهنا بطريق القسم والمعنى ما أشير إليه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: أخرجهم.
[2] ر ث م: فإن.
[3] ر م - وكان من عادتهم.
[4] يشير المؤلف رحمه الله إلى الآية ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤).
[5] ن: أو يجوز.
[6] الآية ٤ من هذه السورة.
[7] ر م: فإنما كلمهم.
[8] ث - ويجوز أن يكونوا يخافون أن قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا إذا لقوه قالوا نشهد إنك لرسوله اعتذارا من ذلك الخلاف لو بلغه ألا ترى إلى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم من النفاق أن كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلمه بسببهم فكذلك الأول والله أعلم.
[9] ر م: من المؤمنين.
[10] ر م: اجزى.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]

وقوله: **فصدوا عن سبيل الله**، له تأويلان. أحدهما صدوا أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله والإيمان برسوله. والثاني أن صدوا الضعفة[١] عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به. وقوله: **إنهم ساء ما كانوا يعلمون**، أي بئس ما كانوا يعملون من الإعراض عن الآيات والحجج وحيث آثروا الكفر على الإيمان. ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد[٢] الضعفة والأتباع من الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٣]

وقوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**، له تأويلان. أحدهما ذلك بأنهم آمنوا بلسانهم ثم كفروا بقلوبهم.[٣] والثاني على حقيقة الإيمان والكفر. وذلك أنهم لما رأوا قلة المسلمين وضعفهم في أنفسهم يومَ بَدْرٍ ثم رأوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا على الكفار مع كثرتهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا أنهم لا يُغلَبون أبدا. ثم إن المسلمين لما غُلبوا يوم أُحُدٍ وأصابهم ما أصابهم اضطربوا في إيمانهم وشكّوا وكفروا. وذلك معنى[٤] قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ،[٥] فكذلك[٦] تأويل قوله: **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا**. وقوله: **ذلك**، إشارة إلى أن السبب الذي تولد منه نفاقهم وحَلِفُهم وقولهم: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ،[٧] بأنهم آمنوا ثم كفروا. وجائز أنه لم يكن منهم حقيقة إيمان ولا كفر ولكنهم كانوا أقواما همتهم الدنيا وسَعَتُها وكانوا يكونون مع من يكون معه الدنيا، إن رأوا[٨] مع المؤمنين أظهروا من أنفسهم أنهم مؤمنون، وإن رأوا مع[٩] الكفار أظهروا أنهم كفار، لا أن يكون منهم حقيقةُ إيمانٍ أو[١٠] كفرٍ. ***والله المستعان.***

---

[١] ن + عن الله تعالى و.
[٢] ن: يصنعون صد.
[٣] ن: يقاتلونهم.
[٤] جميع النسخ: بمعنى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ.
[٥] سورة الحج، ١١/٢٢.
[٦] ن ث: فذلك.
[٧] الآية ١ من هذه السورة.
[٨] ن: معير الدنيا ان يراءوا.
[٩] ن – مع.
[١٠] ن: حقيقة إنما رأوا.

وقوله: **فطبع على قلوبهم**، الطبع يجوز أن يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون به الحق وحججه. {قال:} ويجوز أن يجعل الله تعالى الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والآيات، أو يجوز أن يجعل الكفر كِنًّا في قلبه لِيَضِيق، فلا يرى من بعد ذلك منافعه ومضارّه إلا من ذلك الوجه، فيكفر وأيّما كان.[١] فذلك معنى الطبع. يعني أن اشتغالهم بالكفر وكسبهم إياه غَطّى قلوبهم وسترها عن أن يُبصروا الحق وحججه. *والله أعلم*.*

وقوله عز وجل: **فهم لا يفقهون**، يحتمل أن يكون معناه أي لا يفقهون لأنه طبع على قلوبهم وإلا لم يعرضوا عن الحق والآيات. وذلك أنهم كانوا[٣] يظنون أنهم على الحق فأخبر أنهم لا يفقهون / أنه طُبِع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق[٤] وجعلوا جميع همتهم في المنافع |٨٠٨و|
والمضار الدنيوية، وإلا لو فَقِهوا أن لله تعالى دارا أخرى يُجازُون فيها بأعمالهم لعلموا أنه[٥] لا بد من دين يدينون به، ولم ينظروا إلى منافعهم ومضارهم. *والله المستعان*. ويحتمل:[٦] **لا يفقهون**، عن الله تعالى وأنه تعبدهم وأمرهم بطاعته[٧] [وطاعة][٨] رسوله واتباعه، ويحتمل:[٩] **لا يفقهون**، أنهم يَتعدَّوْن[١٠] وأن لله دارا أخرى يسألهم عما فعلوا ويجازيهم على جميع ذلك.

ثم قال هاهنا: **لا يفقهون**، ولم يقل: لا يعلمون، لأن الفقه[١١] إنما هو الذي يعرف به الشيء بالشيء، فأخبر أنهم لا يعرفون الآخرة بالدنيا. وقال ابن سُرَيج:[١٢] الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدالّ على نظيره. وعندنا أن الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على[١٣] غيره،

---

[١] جميع النسخ: وإنما كان.

* ورد هنا قسم من تأويل الآية ١ من هذه السورة متأخرا فقدمناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٨٠٦ظ/ سطر ٣٢-٣٨.

[٣] ر - كانوا.

[٤] ن - فأخبر أنهم لا يفقهون أنه طبع على قلوبهم حتى ظنوا أنهم على الحق.

[٥] م + أنه.

[٦] جميع النسخ + أي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ.

[٧] جميع النسخ: بطاعة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٩] جميع النسخ + أي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] جميع النسخ: يتعبدون؛ ن + أنهم لا يتعبدون. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر: لأن الفقهة.

[١٢] ر م: ابن شريح. أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. توفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م. (*الأعلام* للزركلي، ١/١٨٥).

[١٣] م + غير.

كان ذلك نظيرا له أو لم[1] يكن؛ لأن من عرف الخلق بمعناهم دله ذلك على معرفة الصانع، ومن عرف الدنيا دله ذلك على معرفة الآخرة وليسا بنظيرين. ثم بين الفقه والعلم فصلُ[2] من وجه وإن كانا جميعا[3] في الحقيقة يرجعان إلى معنى واحد، لأن العلم إنما هو[4] تجلي[5] الشيء له وظهوره بنفسه، والفقه تَعَرُّف [الشيء][6] بغيره استدلالا. ولذلك[7] جاز أن يقال: الله تعالى عالم، لتجلي[8] الأشياء له، ولم يجز أن يقال: إن الله فقيه، لأنه لا يعرف الأشياء بالاستدلال. *والله الموفق*. والحكمة وضع الأشياء مواضعها، والإيقان إنما هو يتولد عن ظهور الأسباب. ولذلك[9] جاز أن يقال: إن الله تعالى حكيم، ولم يجز أن يقال: إنه موقن. ***والله المستعان***.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم**، في هذا بيان أن الله تعالى قد كان آتاهم حسن الصورة وحُسْنَ البيان، وأنه قد آتاهم العلم[10] لأن حسن البيان لا يكاد يكون إلا عن[11] علم. فكأن الله تعالى ذكر نعمه التي آتاهم فإنهم لم يشكروا نعمه وأساءوا صحبتها، فكأنه يقول: كيف ترجوا[12] منهم حُسن الصحبة لك وإنهم لم يُحسنوا صحبة نعمة[13] رب العالمين؟ فيكون فيه[14] بعض التسلي لِما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به وإعراضهم عن اتباعه وطاعته.

[1] ث: نظيرا له ولم.
[2] ن ث م: فضل.
[3] ث – جميعا.
[4] ر م – هو.
[5] ر م: يجلي.
[6] جميع النسخ: يعرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٢٩ظ، والزيادة منه.
[7] ر م: وكذلك.
[8] ث: التجلي.
[9] ر م: وأن لك.
[10] ث – العلم.
[11] ر: آلاه عن؛ م: آتاهم.
[12] جميع النسخ: يرجوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[13] ث – نعمة.
[14] ر ث م – فيه.

وقوله عز وجل: **وإن يقولوا تسمع لقولهم**، يعنى وإن يقولوا[1] تحسب قولهم حقا فتسمع لقولهم لتقبله.[2] ويحتمل[3] تَسْمَعْ لقولهم لما يُعجبك[4] قولهم،[5] أو تسمعْ لقولهم[6] على ما كانت عادته عليه السلام في كل مَن كلّمه أنه لا يُعيّر[7] عليه ولا يقطع عليه كلامه حتى يفرغ منه، ثم قَبِلَه إن كان مما يجب قبوله، وعيَّرَ[8] على صاحبه ورده إن كان مستحقا للتعيير[9] عليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدة**، يقول: إنهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن[10] الصورة والبيان بحيث يعجبك،[11] وفيما تُلقِي[12] إليهم من الحق والدين والحكمة **كأنهم خشب مسندة**، لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة. ويحتمل أن يكون[13] هذا تمثيلا بالخشب من حيث أن الخشب المسنَّدة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا أجواف لها فيوضعَ فيها شيء. فكذلك المنافقون كأنهم خشب[14] لا أجواف لها يوضع فيهم الحكمة والدين والحق.[15] *والله أعلم*. وجائز أن يكون معناه: **كأنهم خشب مسندة**، من حيث أن الخشب المسنَّدة[16] ليس لها أسماع[17] ولا أبصار ولا قلوب، فكذلك المنافقون كأنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ في ناحية الحق وقبوله. *والله المستعان*.

---

[1] ن: وإن تقولوا.
[2] ن: لتقبله.
[3] جميع النسخ + أو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[4] ن: لما تعجبك.
[5] ث + قولهم.
[6] ث: لقوله.
[7] جميع النسخ: لا يغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: وغير. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: للتغيير. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] م: أحسن.
[11] ن: تعجبك.
[12] جميع النسخ: يلقى.
[13] ر ث م – أن يكون.
[14] ر م – خشب.
[15] ث: الحق.
[16] م – المسندة.
[17] ر م: استماع.

وقوله عز وجل: **يحسبون كل صيحة عليهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يحسبون كل صيحة سمعوها كلمةً تَهْتِك[1] عليهم[2] أستارهم[3] وتَفْضَحُهم.[4] ألا ترى إلى قوله: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ،[5] فأخبر أنهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك أستارهم والاطّلاع على ما في قلوبهم، فكذلك كانوا[6] يحسبون أن من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما يكلم[7] بما يهتك عليهم أستارهم ويفضحهم. ***والله المستعان.***

والثاني يحتمل[8] أن يكون ذلك في الحرب أنهم كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا أن يكون فيه هلاكهم، وذلك أنهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حِدَةٍ، وإذا وافقوا هذا الفريق[9] صاروا حربا للفريق الآخر،[10] وإذا وافقوا[11] الآخر صاروا حربا لهؤلاء. فأخبر الله تعالى أنهم يحسبون من كل صيحة سمعوها أن يكون ذلك سببا لهلاكهم.

ويحتمل أن يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لتأميلهم الأمن من وجه لم يُؤْذَنُوا فيه؛ وذلك لِمَا وصفنا أنهم كانوا يظهرون الموافقة[12] لكل فريق[13] رجاءَ أَمْنِهم، وكان جميع مقاصدهم في ذلك تحصيلَ منافع الدنيا دون الديانة بدين من الأديان وذلك غير مأذون فيه. فلما آثروا ذلك واختاروه من غير أن يؤذن لهم عاقَبَهم[14] بالخوف الدائم: إما عن الافتضاح[15] والاطلاع على ما في قلوبهم أو عن الهلاك. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: يهتك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠و.
[2] م – عليهم.
[3] جميع النسخ: سترهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ر م: يفضحهم. ن ث: ويفضحهم.
[5] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[6] ر ث م – كانوا.
[7] ر ن ث: تكلم.
[8] ن: ويحتمل.
[9] ن – وإذا وافقوا هذا الفريق.
[10] ن – صاروا حربا للفريق الآخر.
[11] ن: وإذا وفقوا؛ ث: وإذا فقوا.
[12] ن – الموافقة.
[13] ر م – فريق.
[14] ر م: عاقبتهم.
[15] ر م: عن الاقتضاع.

/ وقوله عز وجل: **هم العدو فاحذرهم،** له أوجه من التأويل. أحدها أن يقول: **هم العدو،** [٨٠٨ظ]
يعني أنهم أدنى عدوك[١] **فاحذرهم،** في جميع أحوالهم في المطعم[٢] والمشرب وغيره، لأن الحذر عمن قرب من الأعداء ودنا أوجبُ ممن بعد ونأى، أو احذرهم أن تُطلعهم على سرك[٣] فيما تُرَوِّيه[٤] وتُضمره[٥] من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك أو يُطْلعون الكفرة على سرك. أو احذرهم أن تَقْبل[٦] منهم قولا يقولونه عن أصحابك لأنهم يُغْرُون أصحابك عليك[٧] فاحذرهم أن تقبل[٨] قولهم على أصحابك.

وقوله عز وجل: **قاتلهم الله،** يعني لعنهم الله.[٩] وقوله: **أنى يُؤْفَكُون،** له تأويلان. أحدهما أن يقول: أيُّ سبب يمنعهم عن الإيمان[١٠] بك وطاعتك واتباعك،[١١] وقد أتيتهم بالآيات والحجج في اطّلاعك على سرائرهم، وذلك لا يكون إلا عن الوحي؟ أو يقول: **أنى يؤفكون،** يعني أنى يكذّبون[١٢] تقليدا بأولئك الكفرة من غير أن يظهر لهم في ذلك آية وحجة، ولا يقلدون البرهان والحجة فيتبعونك؟ *والله أعلم.*

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [٥]

وقوله: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوَّوْا رءوسَهم،** ظاهر هذه الآية أن هذا القول منه إنما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ.[١٣]

---

[١] ر ث م: عدوكم؛ ن: عدوهم. والتصحيح من *الشرح،* ورقة ٢٣٠و.
[٢] ر م: في المطمع.
[٣] ر م: على سر.
[٤] جميع النسخ: ترونه. والتصحيح من المرجع السابق. رَوَّى في الأمر: نظر فيه وتعقبه وتفكر (*لسان العرب،* «روي»).
[٥] ن: ويضمره.
[٦] ر ن م: أن يقبل.
[٧] ن: عليهم.
[٨] ر ن م: أن يقبل.
[٩] ر ث م - الله.
[١٠] ر م + أحدهما أن يقول أي سبب يمنعهم عن الإيمان.
[١١] ر م - واتباعك.
[١٢] جميع النسخ: تكذبون. والتصحيح من *الشرح،* ورقة ٢٣٠و.
[١٣] الآية ٨ من هذه السورة.

وروي في الخبر أن هذه الآية نزلت في عبد الله بنُ أُبَيّ بنِ سَلُول المنافق لأنه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن أبيّ بن[1] سلول في ناحية المسجد، وقال: هذا رسول الله فوقِّروه وعظِّموه، حتى نزلت هذه السورة، فقال بمثل مقالته. فقال له عمر رضي الله عنه: اجلس يا كافر! فإن الله تعالى قد فَضَحَك. قال: فخرج من المسجد قبل أن يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم فسألوه عن خروجه من المسجد قبل أداء الجمعة، فأخبرهم عن القصة، فقالوا: ارجع إلى رسول الله وسله أن يستغفر الله[2] لك، فَلَوَى[3] رأسه،[4] وقال: ما لي إلى استغفاره حاجة.[5]

وروي أنه لما قال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] ثم أراد دخول المدينة من بعد هذه المقالة فحبسه ابنه عن دخول المدينة،[7] وقال: لا أَدَعُك تَدخلها ما لم تُقِرَّ أنك الأذل وأن رسول الله هو الأعزُّ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يُخَلِّي عن أبيه، ثم قال له: «إنك أولى أن تُسمَّى[8] عبدَ الله من أبيك»، فسُمّي من بعد ذلك عبدَ الله[9] وكان يسمى حُبَابًا.[10] فهذان الخبران يدلان على أن هذه الآية إنما نزلت[11] في واحد منهم، وظاهرها يدل[12] على [أن][13] ذلك كان في جملة المنافقين.

ولكن الوجه في ذلك عندنا[14] -والله أعلم- أنه يجوز أن يكون اعتقاد جملتهم على ذلك، فذكرهم الله تعالى جملة[15] لاعتقادهم عليه، وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة.

---

[1] ر م – بن.
[2] ر ث م – الله.
[3] ر م: فلوا.
[4] ن: برأسه.
[5] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/١٧٥.
[6] الآية ٨ من هذه السورة.
[7] ر م – عن دخول المدينة.
[8] ر م: أن يستمي؛ ن ث: أن يسمي.
[9] م – عبد الله.
[10] ر ث: حنابا. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٨/١٤٣.
[11] ن: ان ذلك الآية إنما دلت.
[12] ر ث م: تدل.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[14] ن – عندنا.
[15] ر – جميلة.

والاستغفار إنما هو طلب المغفرة، وذلك إنما يتحقق في الآخرة. فإذا كان على هذا أصلُ اعتقادهم جملةً ذكرهم الله تعالى[1] على ذلك. وكذلك قوله: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[2] كان عندهم أن الله تعالى إنما آتاهم العز والغنى والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون[3] عليه من ذلك الوجه.

ثم إن الله بما ذكر في هذه الآية أنبأ أنه قد كان آتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق هذه النعم وتعظيمها وشكرها، وأنهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفرة في سوء الصحبة بالنعم. وذلك أنه لما قال: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ،[4] دل أنه كان آتاهم حسن الصورة وحسن البيان؛ ولما قال: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا،[5] دل أنه قد كان آتاهم الغنى، ولما قال: لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ،[6] دل أنه قد كان آتاهم العز والشرف. ومعلوم أن هذه الأسباب التي وصفنا هي أسباب العز والشرف في الظاهر. ثم أخبر أنهم تركوا شكر ما أنعم عليهم في تعظيم الحق وأداء[7] شكره، وأنهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء الصنيع؛[8] لأنه دل بقوله تعالى: هُمُ الَّذِين يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا،[9] على غاية البخل حيث امتنع عن الإنفاق بنفسه وأمر غيره[10] أن لا ينفق أيضا،[11] وذلك في غاية البخل. ولَمّا قال: كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ،[12] دل أنهم كانوا في الغفلة عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته. ولما قال: **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لَوَّوْا رءوسهم**، دل أنهم كانوا في الاستخفاف به حيث تركوا الإنصاف،

---

[1] م – جملة لاعتقادهم عليه وذلك أنهم كانوا أقواما لا يؤمنون بالآخرة والاستغفار إنما هو طلب المغفرة وذلك إنما يتحقق في الآخرة فإذا كان على هذا أصل اعتقادهم جملة ذكرهم الله تعالى.

[2] الآية ٨ من هذه السورة.

[3] ر م: تنكرون.

[4] الآية السابقة.

[5] الآية ٧ من هذه السورة.

[6] الآية ٨ من هذه السورة.

[7] ر ن: وإذا.

[8] ر ث م: الصنع؛ ن: الظن. والتصحيح من الشرح، ورقة ٢٣٠ظ.

[9] الآية ٧ من هذه السورة.

[10] م + أيضا.

[11] ر م – أيضا.

[12] الآية السابقة.

وأخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار عليه غايته. ولما قال: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ،[1] دل أنهم كانوا في سوء السريرة غايته.

{قال:} ويجوز أن يقع كل ذلك منهم لوجهين. أحدهما أنهم رأوا ذلك حقا لهم على الله تعالى.[2] أو رأوا[3] أن الله تعالى آتاهم ذلك تفضيلا لهم[4] على غيرهم؛ فكانوا يتكبرون ويستعظمون[5] على غيرهم ويستَخِفُّون برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الوجه. و لم يتأملوا و لم يتفكروا ليتبين لهم أن الله تعالى آتاهم جميع ذلك النعم محنة عليهم، فعبّدهم[6] بأداء شكرها وتعظيم حقها. وذلك[7] معنى لَا يَفْقَهُونَ،[8] أي لا يتأملون النظر في هذه النعم. وذلك أنه لو لم يكن [٨٠٩و] / رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُلزمهم[9] أن يتأملوا فيما أُوتُوا من النعم وينظروا؛ فإذا تفكروا في ذلك و لم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا به عنده مكافأةً[10] لذلك ولا لهم فضل يُفضّلهم الله بها على غيرهم، فكان يتبين لهم أن الله تعالى إنما أعطاهم هذه النعم محنة[11] ليتعبدهم بأداء شكرها.[12]

ولذلك وقع الفصل[13] فيما بين العلم والفقه أن ما كان حقه التأمل والنظرَ فحق اللفظ فيه أن يقال: يفقهون، ولا يفقهون؛ وما كان حق العلم به السماعَ والخبر أُطلق فيه لفظ العلم. ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر: لَا يَعْلَمُونَ،[14] لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة[15] لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[2] ر ن ث + إياهم؛ م + آتاهم.
[3] ر م: أو يروا.
[4] ر م: تفضلا لهم.
[5] ن: ويتعظمون.
[6] جميع النسخ: تعبدهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣٠ظ.
[7] ث: وهذا.
[8] من الآية ٣ من هذه السورة.
[9] م: لا يلزمهم.
[10] ر: مكافات.
[11] ث: محنته.
[12] ر م: شكر.
[13] ر ن م: الفضل.
[14] أي في قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ الآية ٨ من هذه السورة.
[15] ن – والنصر لا يعلمون لأنهم لم يكونوا يعلمون النصر والغلبة.

وقوله عز وجل: **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون**، له وجهان. أحدهما رأيتهم يصدون عن طاعتك[١] واتباعك. والثاني يصدون ضعفتهم عن اتباعك.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٦]

وقوله: **سواء عليهم أَستغفَرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم**، لأنهم لم يَعدّوا ذلك زلة وذنبا لأنه كان عندهم أنهم على الحق. والثاني ما قلنا: إنهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة، والمغفرة إنما يطلب من الله ويتحقق ذلك في الآخرة. وقوله عز وجل: **لن يغفر الله لهم**، على ذلك أيضا أنه لا يغفر أَستغفرت أم لم تستغفر.

{قال رحمه الله:} ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم، ولكنه يجوز أن يكون هذا قبل ظهور نفاقهم له.[٢] ***والله أعلم***.

ثم قوله تعالى: **لن يغفر الله لهم**، يحتمل وجهين. أحدهما يقول: **لن يغفر الله لهم**، ما داموا على النفاق ولم يتوبوا عنه. والثاني أن يقول:[٣] **لن يغفر الله لهم**، في قوم علم الله منهم أنهم لا يؤمنون أبدا فقال في أولئك: **لن يغفر الله لهم**، وكذلك هذا في قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[٤]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يهدي القوم الفاسقين**، فيه أن الله تعالى يملك هدايةً وراءَ هداية البيان، لأن من لم يملك[٥] شيئا لم يستقم أن يوصف بالتعظيم أنه لا يفعل، لأنه يعلم [أنه][٦] إذا لم يقدر ولم يملك لا يفعل.[٧] وإنما يوصف بهذا من يملك ذلك[٨] ولكن لا يفعل. فلو لم يملك ولم[٩] يقدر خلق فعل الاهتداء فيمن أراد لم يوصف بأنه لا يهدي الفاسقين. فدل أنه يملك هداية وراء هداية البيان، وهو خلق الاهتداء فيمن علم منه ذلك. ***والله الموفق***.

---

[١] ن: عن طاعته.
[٢] ر م - له.
[٣] ث: والثاني يقول.
[٤] سورة البقرة، ٦/٢.
[٥] ن: من يملك.
[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٣١و.
[٧] ن + ولم يملك.
[٨] ن: هذا.
[٩] ر ن م - يملك ولم.

وقال أبو بكر [الأصمّ:] معنى قوله: **لا يهدي القوم الفاسقين**، أي لا يهديهم بفسقهم.[1] وقالت المعتزلة: أي[2] لا يسميهم مهتدين إذا فَسَقوا وضلوا. وأيّهما كان فهو محال، لأن من هدى ضالًّا بضلالته[3] فهو سفيه، فكأنه يقول: لا يَسْفه، ومن سمى الضال[4] مهتديا فهو كاذب، فكأنه قال: لا يكذب، وهما جميعا غير مستقيم، لأنا نعلم أنه لا يَسفه ولا يكذب. فثبت أن في ملكه هداية يهدي من يشاء من عباده[5] سوى هداية البيان. وإذا ثبت ما وصفنا أن في ملكه هدايةً سوى هداية[6] البيان ثبت أن له فيها مشيئة؛[7] لأن من ملك شيئا لم يجز أن يُقطع عنه مشيئتُه. فلذلك قلنا: إن الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم أنه يؤثر الكفر ويختاره على الهدى، ويهدي من يشاء لمن علم أنه يؤثر الهدى على الضلالة، فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده. *والله المستعان*.

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**، قد وصفنا أن هذا من غاية بخلهم.[8] و[في] قوله: **حتى ينفضوا**، دلالة أنهم أرادوا إطفاءَ هذا النورِ وإخفاءه فأبى الله تعالى إلا إظهاره.

وقوله عز وجل: **ولله خزائن السماوات والأرض**، يبسطها على المنافقين ليمتحنهم بالإنفاق على المؤمنين. أو **لله خزائن السماوات والأرض**، يُضيّقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق. أو يجوز أن يكون هذا بشارةً للمؤمنين بأن الله تعالى يوسّع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت، وقد جعل حيث فتح لهم الفتوح وآتاهم النصر والغلبة على أعدائهم. *والله أعلم*.

---

[1] جميع النسخ: لفسقهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١و.
[2] ر – أي.
[3] جميع النسخ: لضلالته. والتصحيح من المرجع السابق.
[4] ن: الضلال.
[5] م: من عباد.
[6] ر ث م – سوى هداية.
[7] ن: مشية.
[8] ث: تخلفهم.

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**. الأعز قد يحتمل معاني. أحدها الأغلب والأقهر، على مثال قوله: وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ،[١] أي غلبني في الخصومة. والثاني الأقوى والأشد، على مثال قوله عز وجل: أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[٢] يعني أقوياء وأشداء. والثالث الأعلى والأجلّ، وكذلك قوله: **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**. فإن كان على الأعلى والأجل فذلك أن المؤمنين أعلى وأجل لأنهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفارَ اتبعوا أهواءهم. وإن كان على الأغلب والأقهر فذلك للمؤمنين بالغلبة والنصرة على أعدائهم. وإن كان[٣] على القوة والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين، لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين[٤] لم يكن أهل النفاق يُظهرون الوفاق للمؤمنين. ولكنهم لما رأوا القوة والشدة للمؤمنين مرة وللكفار أخرى أظهروا الموافقة للفريقين جميعا. ولذلك قال / ذلك المنافق: **لَيُخرِجَنَّ الأعز منها الأذل**، [٨٠٩ظ] لأنه لما رأى العزة والشدة للكافرين يوم أُحُدٍ توهم أنهم يغلبونهم أبدا فأظهر النفاق وقال عند ذلك: **ليخرجن الأعز منها الأذل**. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**، اختلف[٥] فيه. فمنهم من قال: هذه الآية في المنافقين، ومنهم من قال: في المؤمنين. فإن كانت[٦] في المنافقين فكأنه يقول: يا أيها الذين أظهرتم بلسانكم الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم[٧] عن ذكر الله، وإن كانت[٨] في المؤمنين فكأنه قال: يا أيها الذين حققوا الإيمان لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله.

[١] سورة ص، ٢٣/٣٨.
[٢] سورة المائدة، ٥٤/٥.
[٣] ن: وإن كانوا.
[٤] ث - لأنه لو لم يوجد ذلك للمؤمنين.
[٥] ر م: واختلف.
[٦] ن: وإن كانت.
[٧] ن ث - ولا أولادكم.
[٨] ر ث م: وإن كان.

ثم اختلفوا في معنى الذكر. فمنهم من قال: معناه القرآن على مثال قوله: قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولاً،[1] يعني قرآنا ورسولا، ومنهم من قال: معنى الذكر التوحيد. فإن كان تأويله القرآنَ فهو يتوجه إلى المنافقين والمؤمنين جميعا. فإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر والتأمل في القرآن، لأن الله تعالى بين في القرآن[2] أمورا تُظهر[3] سرائرهم، وما يُظهر[4] عندهم [فـ]إن الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه وإنه إنما يقوله بالوحي. فكأنه يقول: إذا تأملتم النظر في القرآن حملكم ذلك على التحقيق في الإيمان؛ فلا يَحملْكم حب المال والولد على ترك التأمل في القرآن لأنكم إذا نظرتم فيه وتأملتم حصلتم منه على تحقيق الإيمان. ***والله أعلم***. وإن كان في المؤمنين فمعناه أنْ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن النظر في القرآن فإنكم إذا نظرتم فيه صرتم من أهله وجَلّ قدركم. وإن كان المراد من الذكر التوحيدَ فهو راجع إلى الناس كافة.

فأما المؤمنون فكأنه حذرهم عن حب المال والولد أن تحملهم[5] غاية حبهما[6] على أن يَنْسَوا وحدانية الله والإيمانَ بالرسل والبعث. فكأنه يقول: لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم كما ألهى الكفرة، فيحذّرهم عن أن يقعوا في الهلاك من حبهما،[7] كما قال: اِتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[8] يعني اتقوا[9] [السبب][10] الذي يُفضي بكم إلى النار المُعَدّة للكافرين، فكذلك الأول. وإن كان في المنافقين فكأنه قال: لا يحملْكم حب المال والولد أن تتركوا[11] حقيقة الإيمان به والتوحيد له[12] والطاعةَ لرسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة الطلاق، ٦٥/١٠-١١.
[2] ر ث م - في القرآن.
[3] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[4] ر م: ما يظهر.
[5] جميع النسخ: أن يحملهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: حبها.
[7] جميع النسخ: من حبه.
[8] سورة آل عمران، ٣/١٣١.
[9] ن + النار.
[10] الزيادة من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: أن يتركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: الإيمان والتوحيد له.

وقوله عز وجل: **ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**، فعلى ما ذكرنا من التأويلين في إنكار البعث والتوحيد ظاهر، وإن كان في المؤمنين فمعنى الخسار هو[١] الخوف من أن يقع به الوعيد.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٠]

وقوله: **وأنفقوا مما رزقناكم**، يجوز أن يكون صلة قوله: لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ،[٢] فيمنعكم ذلك عن الإنفاق؛ فإنكم إذ امتنعتم عن الإنفاق ازداد حبكم فتنسون[٣] وحدانية الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وقوله عز وجل: **لولا أخرتني إلى أجل قريب**، قال بعضهم: تمنّى الرَّجْعَة لما رأى من الهلاك والعذاب حيث ترك[٤] الحقوق. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٥] أنه قال: لو كان ثمة[٦] خير لم يتمنَّ الكَرَّة.[٧] ولكن المعنى في ذلك عندنا -والله أعلم- أنه يتمنى الرجوع ليتصدق ليس للإنفاق[٨] خاصة ولكن ليتصدق وليكون من الصالحين أي الموحدين.[٩] وذلك مستقيم أن يقال إذا ترك التوحيد فنزل به الموت: إنه يتمنى الرجوع لما يرى[١٠] من الهلاك والعقوبة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا إن كانت الآية في المؤمنين الموحدين أنهم يتمنون الرجوع حياءً[١١] من ربهم لما ارتكبوا من الزلات وتركوا ما يستوجبون[١٢] به الحسنات، وقصّروا فيما فرض[١٣] الله تعالى عليهم من العبادات. وحق على كل مؤمن أن يستحيي من ربه إذا لقيه بما ترك من حقوقه التي ألزمها عليه والأسباب الواجبة.

---

[١] ر م + هو.
[٢] الآية السابقة.
[٣] ر ث م: فيثبتون؛ ن: فينسون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[٤] ر ث م: تركوا.
[٥] ر ن م: عنه.
[٦] ر ن م: ثم؛ ث: ثمه.
[٧] ر م: الكفرة؛ ن: الكره. الكرة: الرجوع. انظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٨/٢٧٤.
[٨] جميع النسخ: الإنفاق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٣١ظ.
[٩] ر: ولتكون من الصالحين أي الموحدين؛ ن ث: ولتكون من الصالحين أي من الموحدين.
[١٠] ن: لما ترى.
[١١] ر ث م: حيا.
[١٢] ر ن م: ما يستوجبوا.
[١٣] ن ث: أفرض.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١١]

وقوله: **ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها**، الآية،[١] ليس يحتمل تأخيرَ الله تعالى أجله إذا جاء، لأنه لو أخره دل أنه بدا له في أجله، ومن بدا له في أمر فذلك دليل الجهل بالعواقب ولا يوصف رب العالمين[٢] بذلك. وقوله عز وجل: **والله خبير بما تعملون**، أي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم: سرِّكم وعلانيتكم. والله أعلم بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق.[٣]

[١] ن – الآية.

[٢] ث + جل جلاله.

[٣] ر – ومنه التوفيق؛ ن – بحقيقة ما أراد ومنه التوفيق؛ ث: والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ما أراد.

سورة المنافقون

إحدى عشرة آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾

وجه تعلق هذه السورة بما قبلها، هو أن تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول ﷺ وذكر من كان يكذبه قلبًا ولسانًا بضرب المثل كما قال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ [الجمعة: ٥] وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلبًا دون اللسان ويصدقه لسانًا دون القلب، وأما الأول بالآخر، فذلك أن في آخر تلك السورة تنبيهًا لأهل الإيمان على تعظيم الرسول ﷺورعاية حقه بعد النداء لصلاة الجمعة وتقديم متابعته في الأداء على غيره وأن ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين، والمنافقون هم الكاذبون، كما قال في أول هذه السورة: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ أي أنه أرسلك فهو يعلم أنك لرسوله ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ أنهم أضمروا غير ما أظهروا، وإنه يدل على أن حقيقة الإيمان بالقلب، وحقيقة كل كلام كذلك، فإن من أخبر عن شيء واعتقد بخلافه فهو كاذب، لما أن الكذب باعتبار المخالفة بين الوجود اللفظي والوجود الذهني، كما أن الجهل باعتبار المخالفة بين الوجود الذهني، والوجود الخارجي، ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم: نشهد إنك لرسول الله، وسماهم الله كاذبين لما أن قولهم يخالف اعتقادهم، وقال قوم: لم يكذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ إنما كذبهم بغير هذا من الأكاذيب الصادرة عنهم في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤]الآية. و﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]وجواب إذا ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ﴾ أي أنهم إذا أتوك شهدوا لك بالرسالة، فهم كاذبون في تلك الشهادة، لما مر أن قولهم يخالف اعتقادهم.

وفي الآية مباحث:

البحث الأول:أنهم قالوا: نشهد إنك لرسول الله، فلو قالوا: نعلم إنك لرسول الله، أفاد مثل ما أفاد هذا، أم لا؟ نقول: ما أفاد، لأن قولهم: نشهد إنك لرسول الله، صريح في الشهادة على إثبات الرسالة، وقولهم: نعلم ليس بصريح في إثبات العلم، لما أن علمهم في الغيب عند غيرهم.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٣﴾

قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي سترًا ليستتروا به عما خافوا على أنفسهم من القتل. قال في (الكشاف): ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ يجوز أن يراد أن قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[المنافقون: ١] يمين من أيمانهم الكاذبة، لأن الشهادة تجري مجرى الحلف في التأكيد، يقول الرجل: أشهد وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله في موضع أقسم وأولى: وبه استشهد أبو حنيفة على أن أشهد يمين، ويجوز أن يكون وصفًا للمنافقين في استخفافهم بالإيمان، فإن قيل: لم قالوا نشهد، ولم يقولوا: نشهد بالله كما قلتم؟ أجاب بعضهم عن هذا بأنه في معنى الحلف من المؤمن وهو في المتعارف إنما يكون بالله، فلذلك أخبر بقوله: نشهد عن قوله بالله.

وقوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله، وقيل: صدوا، أي صرفوا ومنعوا الضعفة عن اتباع رسول الله ﷺ ﴿سَآءَ﴾ أي بئس ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ حيث آثروا الكفر على الإيمان وأظهروا خلاف ما أضمروا مشاكلة للمسلمين.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ذلك إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ قال مقاتل: ذلك الكذب بأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في السر، وفيه تأكيد لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة: ١٠٧، الحشر: ١١] وقوله: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ لا يتدبرون، ولا يستدلون بالدلائل الظاهرة. قال ابن عباس: ختم على قلوبهم، وقال مقاتل: طبع على قلوبهم بالكفر فهم لا يفقهون القرآن، وصدق محمد ﷺ، وقيل: إنهم كانوا يظنون أنهم على الحق، فأخبر تعالى أنهم لا يفقهون أنه طبع على قلوبهم **ثم في الآية مباحث:**

البحث الأول: أنه تعالى ذكر أفعال الكفرة من قبل، ولم يقل: إنهم ساء ما كانوا يعملون، فلم قال هنا؟ نقول: إن أفعالهم مقرونة بالأيمان الكاذبة التي جعلوها جنة، أي سترة لأموالهم ودمائهم عن أن يستبيحها المسلمون كما مر.

الثاني: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؟ نقول: قال في (الكشاف) ثلاثة أوجه: أحدها: ﴿ءَامَنُواْ﴾ نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ ثم ظهر كفرهم بعد ذلك، وثانيها: ﴿ءَامَنُواْ﴾ نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[البقرة: ١٤، ٧٧]، وثالثها: أن يراد أهل الذمة منهم.

الثالث: الطبع على القلوب لا يكون إلا من الله تعالى، ولما طبع الله على قلوبهم لا يمكنهم أن يتدبروا ويستدلوا بالدلائل، ولو كان كذلك لكان هذا حجة لهم على الله تعالى، فيقولون: إعراضنا عن الحق لغفلتنا، وغفلتنا بسبب أنه تعالى طبع على قلوبنا، فنقول: هذا الطبع من الله

تعالى لسوء أفعالهم، وقصدهم الإعراض عن الحق، فكأنه تعالى تركهم في أنفسهم الجاهلة وأهوائهم الباطلة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ ﴾

اعلم أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ يعني عبد الله بن أبي، ومغيث بن قيس، وجد بن قيس، كانت لهم أجسام ومنظر، تعجبك أجسامهم لحسنها وجمالها، وكان عبد الله بن أبي جسيمًا صبيحًا فصيحًا، وإذا قال سمع النبي ﷺ قوله، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ أي ويقولوا: إنك لرسول الله تسمع لقولهم، وقرئ (يُسْمَعْ) على البناء للمفعول، ثم شبههم بالخشب المسندة، وفي الخُشُب التخفيف كبَدَنة وبُدْن وأسَد وأُسْد، والتثقيل كذلك كثَمَرة وثُمُر، وخَشَبة وخُشُب، ومَدَرة ومُدُر. وهي قراءة ابن عباس، والتثقيل لغة أهل الحجاز، والخشب لا تعقل ولا تفهم، فكذلك أهل النفاق كأنهم في ترك التفهم، والاستبصار بمنزلة الخشب. وأما المسندة يقال: سند إلى شيء، أي مال إليه، وأسنده إلى الشيء، أي أماله فهو مسند، والتشديد للمبالغة، وإنما وصف الخشب بها، لأنها تشبه الأشجار القائمة التي تنمو وتثمر بوجه ما، ثم نسبهم إلى الجبن وعابهم به، فقال: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ وقال مقاتل: إذا نادى مناد في العسكر، وانفلتت دابة، أو نشدت ضالة مثلاً ظنوا أنهم يرادون بذلك لما في قلوبهم من الرعب، وذلك لأنهم على وجل من أن يهتك الله أستارهم، ويكشف أسرارهم، يتوقعون الإيقاع بهم ساعة فساعة، ثم أعلم (الله) رسوله بعداوتهم فقال: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ أن تأمنهم على السر ولا تلتفت إلى ظاهرهم فإنهم الكاملون في العداوة بالنسبة إلى غيرهم، وقوله تعالى: ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ مفسر وهو دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم وتعليم للمؤمنين أن يدعوا بذلك، و﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم وضلالتهم وظنهم الفاسد أنهم على الحق.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ قال الكلبي: لما نزل القرآن على الرسول ﷺ بصفة المنافقين مشى إليه عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم: ويلكم افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم، فأبوا ذلك وزهدوا في الاستغفار فنزلت، وقال ابن عباس: لما رجع عبد الله بن أبي من أحد بكثير

من الناس مقته المسلمون وعنفوه وأسمعوه المكروه فقال له بنو أبيه: لو أتيت رسول الله ﷺ حتى يستغفر لك ويرضى عنك، فقال: لا أذهب إليه، ولا أريد أن يستغفر لي، وجعل يلوي رأسه فنزلت[١]. وعند الأكثرين إنما دعى إلى الاستغفار لأنه قال: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] وقال: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧] فقيل له: تعال يستغفر لك رسول الله فقال: ماذا قلت، فذلك قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ وقرئ: (لَوَوْا) بالتخفيف والتشديد للكثرة والكناية قد تُجْعَل جمعًا والمقصود واحد وهو كثير في أشعار العرب قال جرير:

لاَ بَارَكَ اللَّه فِيمَنْ كَانَ يَحْسَبُكُمْ إلاَّ عَلَى العَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا[٢]

وإنما خاطب بهذا امرأة وقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي عن استغفار رسول الله ﷺ، ذكر تعالى أن استغفاره لا ينفعهم فقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ قال قتادة: نزلت هذه الآية بعد قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] وذلك لأنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «خَيَّرَنِي رَبِّي فَلأَزِيدَنَّهُمْ على السَّبْعِينَ»[٣] فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: المنافقين، وقال قوم: فيه بيان أن الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان، وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك، وقيل: معناه لا يهديهم لفسقهم، وقالت المعتزلة: لا يسميهم المهتدين إذا فسقوا وضلوا، **وفي الآية مباحث:**

البحث الأول: لم شبههم بالخشب المسندة لا بغيره من الأشياء المنتفع بها؟ نقول: لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد في الغير: الأولى: قال في (الكشاف): شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير، بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا فارغًا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بها الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحائط شبهوا بها في حسن صورهم، وقلة جداوهم، الثانية: الخشب المسندة في الأصل كانت غصنًا طريًا يصلح لأن يكون من الأشياء المنتفع بها، ثم تصير غليظة يابسة، والكافر والمنافق كذلك كان في الأصل صالحًا لكذا وكذا، ثم يخرج عن تلك الصلاحية، الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب، كما قال تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] والخشب المسندة حطب أيضًا، الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة، والآخر إلى جهة أخرى، والمنافقون كذلك، لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى

(١) أورده ابن كثير في (تفسيره) (٨/ ١٢٧) وقال: وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير... فذكره ثم قال: وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير.

(٢) الشاعر جرير تقدمت ترجمته.

(٣) مرسل: ورواه الطبري في (تفسيره) (١٤/ ٣٩٧) حديث رقم (١٧٠٣١) من طريق يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة... به.

جهة أهل الكفر، والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام، الخامسة: المعتمد عليه الخشب المسندة ما يكون من الجمادات والنباتات، والمعتمد عليه للمنافقين كذلك، وإذا كانوا من المشركين إذ هو الأصنام، إنها من الجمادات أو النباتات.

الثاني: من المباحث أنه تعالى شبههم بالخشب المسندة، ثم قال من بعد ما ينافي هذا التشبيه وهو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[المنافقون: ٤] والخشب المسندة لا يحسبون أصلاً، نقول: لا يلزم أن يكون المشبه والمشبه به يشتركان في جميع الأوصاف، فهم كالخشب المسندة بالنسبة إلى الانتفاع وعدم الانتفاع، وليسوا كالخشب المسندة بالنسبة إلى الاستماع وعدم الاستماع للصيحة وغيرها.

الثالث: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ولم يقل: القوم الكافرين أو المنافقين أو المستكبرين مع أن كل واحد منهم من جملة ما سبق ذكره؟ نقول: كل أحد من تلك الأقوام داخل تحت قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ أي الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون.

قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

أخبر الله تعالى بشنيع مقالتهم فقال: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ كذا وكذا: ﴿يَنْفَضُّوا﴾ أي يتفرقوا، وقرئ: (يُنْفِضُوا) من أَنْفَضَ القوم إذا فنيت أزوادهم، قال المفسرون: اقتتل أجير عمر مع أجير عبد الله بن أبي في بعض الغزوات فأسمع أجير عمر عبد الله بن أبي المكروه واشتد عليه لسانه، فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه فقال: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ ثم أقبل على قومه فقال: لو أمسكتم النفقة عن هؤلاء يعني المهاجرين لأوشكوا أن يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فنزلت، وقرئ: (لَيَخْرُجَنَّ) بفتح الياء، وقرأ الحسن وابن أبي عبلة: (لَنُخْرِجَنَّ) بالنون ونصب الأعز والأذل، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: يعني مفاتيح الرزق والمطر والنبات، والمعنى أن الله هو الرزاق: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[يونس: ٣١] وقال أهل المعاني: خزائن الله تعالى مقدوراته لأن فيها كل ما يشاء مما يريد إخراجه، وقال الجنيد: خزائن الله تعالى في السماوات الغيوب وفي الأرض القلوب وهو علام الغيوب ومقلب القلوب، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يفقهون أن: ﴿أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢] وقوله: يقولون: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا﴾ أي من تلك الغزوة وهي غزوة بني المصطلق إلى المدينة فرد الله تعالى عليه وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾

أي الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وعزهم بنصرته إياهم وإظهار دينهم على سائر الأديان وأعلم رسوله بذلك ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك ولو علموه ما قالوا مقالتهم هذه، قال صاحب (الكشاف): ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين، وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه، وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهًا قال: ليس بتيه ولكنه عزة فإن هذا العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه، وتلا هذه الآية قال بعض العارفين في تحقيق هذا المعنى: العزة غير الكبر ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه وإنزالها فوق منزلها فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة، وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود، والضعة مذمومة، والكبر مذموم، والعزة محمودة، ولما كانت غير مذمومة وفيها مشاكلة للكبر، قال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٢٠]وفيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق، والوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن من نار الكبر، فإن قيل: قال في الآية الأولى: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ وفي الأخرى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فما الحكمة فيه؟ فنقول: ليعلم بالأول قلة كياستهم وفهمهم، وبالثاني كثرة حماقتهم وجهلهم، ولا يفقهون من فَقِه يَفْقَه، كعَلِم يَعْلَم، ومن فَقَهَ يَفْقُه: كعَظُم يَعْظُم، والأول لحصول الفقه بالتكلف، والثاني لا بالتكلف، فالأول علاجي، والثاني مزاجي.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم كما شغلت المنافقين، وقد اختلف المفسرون منهم من قال: نزلت في حق المنافقين، ومنهم من قال في حق المؤمنين، وقوله: ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ عن فرائض الله تعالى نحو الصلاة والزكاة والحج أو عن طاعة الله تعالى وقال الضحاك: الصلوات الخمس، وعند مقاتل: هذه الآية وما بعدها خطاب للمنافقين الذين أقروا بالإيمان ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي ألهاه ماله وولده عن ذكر الله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي في تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقي بالخسيس الفاني وقيل: هم الخاسرون في إنكار ما قال به رسول الله ﷺ من التوحيد والبعث.

وقال الكلبي: الجهاد، وقيل: هو القرآن وقيل: هو النظر في القرآن والتفكر والتأمل فيه

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ قال ابن عباس يريد: زكاة المال و(من) للتبعيض، وقيل: المراد هو الإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي دلائل الموت وعلاماته فيسأل الرجعة إلى الدنيا وهو قوله: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقيل حضهم على إدامة الذكر، وأن لا يضنوا بالأموال، أي هلا أمهلتني وأخرت أجلي إلي زمان قليل، وهو الزيادة في أجله حتى يتصدق ويتزكى وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا دليل على أن القوم لم يكونوا مؤمنين إذ المؤمن لا يسأل الرجعة. وقال الضحاك: لا ينزل بأحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت إلا وسأل الرجعة وقرأ هذه الآية، وقال صاحب (الكشاف): من قبل أن يعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق، ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنًا منه، وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وقوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس: أحج وقرئ (وأكُونَ) وهو على لفظ فأصدق، (وَأَكُنْ)، قال المبرد: وأَكُنْ على ما قبله لأن قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ جواب للاستفهام الذي فيه التمني والجزم على موضع الفاء، وقرأ أبي: (فَأَتصدق) على الأصل وأكن عطفًا على موضع ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: وأنشد سيبويه أبياتًا كثيرة في الحمل على الموضع منها:

(مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ) فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلاَ الْحَدِيدَا[١]

فنصب الحديد عطفًا على المحل والباء في قوله: بالجبال، للتأكيد لا لمعنى مستقل يجوز حذفها وعكسه قول ابن أبي سلمى:

بَدَا لي أني لست مدرك ما مَضَى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا[٢]

توهم أنه قال بمدرك فعطف عليه قوله سابق، عطفًا على المفهوم، وأما قراءة أبي عمرو (وأكون) فإنه حمله على اللفظ دون المعنى، ثم أخبر تعالى أنه لا يؤخر من انقضت مدته وحضر أجله فقال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ يعني عن الموت إذا جاء أجلها، قال في (الكشاف): هذا نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي، وبالجملة فقوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ تنبيه على الذكر قبل الموت: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ تنبيه على الشكر لذلك وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي لو رد إلى الدنيا ما زكى ولا حج، ويكون هذا كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[الأنعام: ٢٨] والمفسرون على أن هذا خطاب جامع لكل عمل خيرًا أو شرًا وقرأ عاصم (يعملون) بالياء على قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ لأن النفس وإن كان واحدًا في اللفظ، فالمراد به الكثير فحمل على المعنى والله أعلم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) البيت لابن الزبير الأسدي وهو ضمن قصيدة من البحر الوافر وتقدمت ترجمة ابن الزبير الأسدي.
(٢) وابن أبي سلمى تقدمت ترجمته.

سورة المنافقون

مدنيّةٌ في قول الجميع، وهي إحدى عَشْرة آيةً(٤)

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ روى البخاريُّ عن زيد بن أرْقم قال: كنت مع عَمّي فسمعتُ عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ ابنِ سلول يقول: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا. وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. فذكرتُ ذلك لعمّي، فذكر عمّي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بنِ أُبَيٍّ وأصحابِه، فحلفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسولُ الله صلى ا لله عليه وسلم وكَذَّبني، فأصابني همٌّ لم يصبني مثلُه، فجلستُ في بيتي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ» إلى قوله: «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُول اللَّهِ» إلى قوله: «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ» فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ، [فقرأها عليَّ] ثم

(٤) تفسير البغوي ٤/٣٤٧.

قال: «إنَّ الله قد صدقك». خرَّجه الترمذيُّ، وقال: هذا حديث حسن صحيح[١].

وفي الترمذيِّ[٢] عن زيد بنِ أرقم قال: غَزَوْنا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنَّا نبدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا إليه، فيسبق الأعرابيُّ أصحابَه فيملأ الحوض، ويجعل حوله حجارة، ويجعل النِّطع عليه حتى تجيء أصحابه. قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابيًّا، فأرْخَى زمامَ ناقته لتشربَ، فأبَى أن يَدَعَه، فانتزع حجراً فغاض الماء، فرفع الأعرابيُّ خشبةً، فضرب بها رأس الأنصاريِّ فشَجَّه، فأتى عبدَ الله بنَ أبَيٍّ ـ رأس المنافقين ـ فأخبره ـ وكان من أصحابه ـ فغضب عبدُ الله بنُ أبَيٍّ ثم قال: لا تُنفِقُوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضُّوا مِن حوله ـ يعني: الأعراب ـ وكانوا يحضرون رسولَ الله ﷺ عند الطعام، فقال عبد الله: إذا انفضُّوا من عند محمد فَأْتوا محمَّداً بالطعام، فليأكل هو ومَن عنده. ثم قال لأصحابه: لئن رجعتم إلى المدينة لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. قال زيد: وأنا رِدْف عمِّي، فسمعتُ عبدَ الله ابنَ أُبَيٍّ، فأخبرت عمِّي، فانْطَلَق فأخبَر رسولَ الله ﷺ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ فَحلَفَ وجَحَد. قال: فصدَّقه رسولُ الله ﷺ وكَذَّبني. قال: فجاء عمِّي إليَّ فقال: ما أردتَ إلَّا أن مَقَتَك رسول الله ﷺ وكَذَّبك والمنافقون. قال: فوقع عليَّ من جرأتهم ما لم يقع على أحد. قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفرٍ قد خفَقْتُ برأسي من الهَمِّ، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فَعَرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يَسُرُّني أنَّ لي بها الخُلْد في الدنيا. ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال: ما قال لكَ رسولُ الله ﷺ؟ قلت: ما قال شيئاً، إلا أنَّه عَرَك أذني، وضحك في وجهي، فقال: أَبْشِرْ! ثم لحقني عمرُ، فقلتُ له مثلَ قولي لأبي بكر. فلما أصبحنا، قرأ رسول الله ﷺ سورةَ المنافقين. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) البخاري (٤٩٠١) وما بين حاصرتين منه، والترمذي (٣٣١٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (١٩٣٣٣)، وهو عند مسلم (٢٧٧٢) بنحوه.

(٢) برقم (٣٣١٣) بنحوه، والخبر نقله المصنف عن الواحدي في أسباب النزول ص٤٥٧-٤٥٨ واللفظ منه.

وسئل حُذيفة بن اليَمَان عن المنافق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. وهم اليومَ شرٌّ منهم على عهد رسول الله ﷺ؛ لأنَّهم كانوا يكتمونه، وهم اليوم يظهرونه[١].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤْتُمِنَ خان»[٢]. وعن عبد الله بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر»[٣]. أخبر عليه الصلاة والسلام أنَّ من جمع هذه الخصال كان منافقاً، وخبره صدق. وروي عن الحسن أنَّه ذكر له هذا الحديث فقال: إنَّ بني يعقوب حدَّثوا فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، وأُتمِنوا فخانوا[٤]. إنَّما هذا القول من النبيِّ ﷺ على سبيل الإنذار للمسلمين، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال؛ شَفَقًا أن تُفْضِيَ بهم إلى النفاق. وليس المعنى: أنَّ من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد، أنَّه منافق. وقد مضى في سورة «براءة»[٥] القول في هذا مستوفًى، والحمد لله. وقال

(١) النكت والعيون ٦/ ١٣ ، وقول حذيفة أخرجه وكيع في الزهد (٤٧١)، ومن طريقه عبد الله بن أحمد في السنة (٨٠٦)، وابن أبي شيبة ١٥/ ١١٥ ، والفريابي في صفة المنافق (٧٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٨١-٢٨٢ . وفي إسناده: أبو يحيى، وهو: عبيد بن كرب، ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٦/ ٣ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ٤١٣ ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، وهو عند أحمد (٨٦٨٥).

(٣) سلف ١٠/ ٣١٢ .

(٤) أخرج العقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٧ عن عبد العزيز بن أبي روَّاد قال: أخبر عطاء عن الحسن أنه كان يقول: ثلاث من كن فيه فهو منافق. فقال عطاء: أبا سعيد، قد حدَّث إخوة يوسف فكذبوا، ووعدوا فأخلفوا، واؤتمنوا فخانوا، فمنافقين كانوا؟! قال: فصحت بهم صيحة. قال: قلت: أنت سمعت هذا من عطاء؟ قال: فاصفرَّ لونه. وهو عند الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٤٠ عن محمد المحرم، عن عطاء بنحوه، وفي آخره قال الحسن: صدق عطاء هكذا الحديث، وهذا في المنافقين. وينظر فيض القدير ١/ ٦٣ .

(٥) ١٠/ ٣١٢ .

رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا حدَّث صدق، وإذا وعد أنجز، وإذا اؤتمنَ وَفَّى»(١).
والمعنى: المؤمن الكامل إذا حدَّث صدق، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ قيل: معنى «نَشْهَدُ» نحلف. فعبَّر عن الحَلِف بالشهادة؛ لأنَّ كلَّ واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مُغَيَّب، ومنه قول قيس بن ذَرِيح:

وأشهد عند الله أني أحِبُّها فهذا لها عندي فما عندها لِيَا(٢)

ويحتمل أن يكون ذلك محمولاً على ظاهره أنَّهم يشهدون أنَّ محمداً رسول الله ﷺ؛ اعترافاً بالإيمان، ونفياً للنفاق عن أنفسهم، وهو الأشبه(٣). ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ كما قالوه بألسنتهم. ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما أظهروا من شهادتهم وحَلِفهم بألسنتهم. وقال الفرَّاء(٤): «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» بضمائرهم، فالتكذيب راجع إلى الضمائر. وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمان تصديق القلب، وعلى أنَّ الكلام الحقيقيَّ كلام القلب. ومن قال شيئاً واعتقد خلافه، فهو كاذب(٥). وقد مضى هذا المعنى في أول «البقرة»(٦) مستوفى. وقيل: أكذبهم الله في أيمانهم(٧)، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٢٠٠) ومن طريقه إسحاق بن راهويه كما في إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١/ ١٥٧ عن الزبير ﷺ بزيادة. ونقل البوصيري عن ابن حجر قوله: هكذا رواه إسحاق في مسند الزبير بن العوام، وهكذا رواه أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق، ورواه زهير بن معاوية وغير واحد عن أبي إسحاق، عن الزبير بن عدي، ورواه غيرهم عن أبي إسحاق، عن الزبير غير منسوب، فإن كان معمر حفظه فهو صحيح الإسناد لكنه منقطع، وإن كان زهير حفظه فهو معضل.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٣ ، والبيت في ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوَّح ص٢٩٤ و٣٠٠ ، ولم نقف عليه من قول قيس بن ذريح صاحب لبنى. وأخباره في معجم الشعراء ٢/ ٦٢٨ .

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٣ .

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٥٨ .

(٥) الوسيط ٤/ ٣٠٢ .

(٦) عند الآية (٨).

(٧) النكت والعيون ٦/ ١٤ .

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي: سُترة[١]. وليس يرجع إلى قوله: «نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ»، وإنَّما يرجع إلى سبب الآية التي نزلت عليه، حسب ما ذكره البخاريُّ والترمذيُّ عن ابن أُبَيٍّ أنَّه حَلَفَ ما قال، وقد قال[٢]. وقال الضَّحَّاك: يعني حلفهم بالله: «إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ»[٣]. وقيل: يعني بأيمانهم ما أخبر الرَّبُّ عنهم في سورة «براءة» إذ قال: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [الآية: ٧٤].

الثانية: من قال: أُقْسِم بالله، أو: أَشْهد بالله، أو: أَعْزِم بالله، أو: أَحلف بالله، أو: أَقسمتُ بالله، أو: أَشهدت بالله، أو: أَعزمت بالله، أو: أَحلفتُ بالله، فقال في ذلك كلِّه: «بالله» فلا خلاف أنَّها يمين[٤]. وكذلك عند مالك وأصحابه إن قال: أُقْسِم، أو: أَشْهد، أو أَعْزِم، أو: أَحلف، ولم يقل: «بالله»، إذا أراد «بالله». وإن لم يرد «بالله» فليس بيمين. وحكاه الكِيَا[٥] عن الشافعيِّ، قال الشافعيُّ[٦]: إذا قال: أَشهد بالله. ونوى اليمينَ، كان يميناً. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أَشهد بالله لقد كان كذا. كان يميناً[٧]، ولو قال: أَشهد لقد كان كذا. دون النِّيَّة، كان يميناً لهذه الآية؛ لأنَّ الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً». وعند الشافعيِّ[٨] لا يكون ذلك يمينًا وإن نوى اليمين؛ لأنَّ قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠٠ ، والحديث سلف قريباً.

(٣) الوسيط ٤/ ١٢٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٥١ .

(٤) الكافي لابن عبد البر ١/ ٤٤٨ ، وما بعده منه أيضاً.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ٤١٧ .

(٦) في الأم ٧/ ٥٦ .

(٧) بدائع الصنائع ٤/ ١٣-١٤ .

(٨) في الأم ٧/ ٥٥ .

جُنَّةً» ليس يرجع إلى قوله: «قَالُوا نَشْهَدُ»، وإنَّما يرجع إلى ما في «براءة» من قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [الآية: ٧٤].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أعرضوا، وهو من الصدود. أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل، والسَّبي، وأخذ الأموال، فهو من الصدِّ، أو منعوا الناسَ عن الجهاد بأن يتخلَّفوا، ويقتدي بهم غيرهم. وقيل: فصدُّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام، بأن يقولوا: هانحن كافرون بهم، لو كان محمد حقًّا لعرف هذا منَّا، ولجعلنا نكالًا. فبيَّن الله أنَّ حالهم لا يخفى عليه، ولكن حكمه أنَّ من أظهر الإيمان أجرى عليه في الظاهر حكم الإيمان. ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئست أعمالهم الخبيثة ـ من نفاقهم، وأيمانهم الكاذبة، وصدِّهم عن سبيل الله ـ أعمالاً.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③﴾

هذا إعلام من الله تعالى بأنَّ المنافق كافر، أي: أقرُّوا باللسان، ثم كفروا بالقلب[١]. وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا، ثم ارتدوا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: خُتم عليها بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان ولا الخير. وقرأ زيد بن عليٍّ: «فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ»[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي: هيئاتهم ومناظرهم. ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أُبَيٍّ وسِيمًا جسيمًا صحيحًا صبيحًا ذَلِق اللسان، فإذا قال سمع النبيُّ ﷺ مقالته[٣].

---

(١) الوسيط ٤/ ٣٠٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٩، والبحر المحيط ٨/ ٢٧٢، وأوردها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٥٦ ونسبها إلى الأعمش.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨، وفيه: فصيحاً، بدل صبيحاً. ووردت العبارتان معاً عند الزمخشري في =

وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة[١]. وقال الكلبيُّ: المراد ابن أُبَيٍّ، وجَدّ بن قيس، ومُعَتِّب بن قُشير، كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة[٢]. وفي «صحيح مسلم»[٣]: وقوله: «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» قال: كانوا رجالًا أجملَ شيء، كأنَّهم خشب مسندةٌ. شبَّههم بخُشب مسنَّدة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون، أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام[٤]. وقيل: شبَّههم بالخُشُب التي قد تآكلت، فهي مسندة بغيرها، لا يعلم ما في بطنها[٥].

وقرأ قنبُل وأبو عمرو والكسائيُّ: «خُشْبٌ» بإسكان الشين[٦]. وهي قراءة البَرَاء بن عازب، واختيار أبي عبيد[٧]؛ لأنَّ واحدتها خَشَبة. كما تقول: بَدَنة وبُدْن، وليس في اللغة فَعَلَة يجمع على فُعُل[٨]. ويلزم من ثقلها أن تقول: البُدُن، فتقرأ: «والبُدُن»[٩] [الحج:٣٦]. وذكر اليزيديُّ أنَّه جماع الخشباء[١٠]، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس:٣٠] واحدتها: حديقة غلباء. وقرأ الباقون بالتثقيل، وهي رواية البَزِّيِّ عن ابن كَثِير، وعيَّاش عن أبي عمرو، وأكثر الروايات عن عاصم. واختاره أبو حاتم، كأنَّه جمع خِشاب وخُشُب، نحو ثَمرة وثِمار وثُمُر. وإن شئت جمعت خشبة على خُشب كما قالوا: بَدَنَة وبُدْن وبُدُن. وقد رُوي عن ابن المسيّب فتح الخاء والشين في «خُشُب». قال سِيبويه: خَشَبة وخُشُب، مثل بَدَنة وبدن. قال: ومثله بغير هاء: أَسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثْن. وتقرأ: خُشُب، وهو جمع الجمع، خشبة وخِشاب وخُشُب، مثل

= الكشاف ٤/ ١٠٩ ، وذَلَقُ اللسان: حِدَّته. اللسان (ذلق).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٦ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ١٤ ولم يعزه للكلبي.

(٣) برقم (٢٧٧٢)، وهو عند البخاري (٤٩٠٣)، وأحمد (١٩٣٣٤) عن زيد بن أرقم ﷺ.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨ .

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ بنحوه.

(٦) السبعة ص٦٣٦ ، والتيسير ص٢١١ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٣ .

(٩) وهي قراءة الحسن وعيسى. القراءات الشاذة ص٩٥ .

(١٠) الكشاف ٤/ ١٠٩ .

ثمرة وثمار وثُمُر[(١)]. والإسناد: الإمالة، تقول: أسندت الشيء، أي: أملته. و«مُسَنَّدَة» للتكثير[(٢)]، أي: استندوا إلى الأيمان بحقن دمائهم.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: كلَّ أهل صيحة عليهم، هم العدُوُّ. فـ «هم العَدُوّ» في موضع المفعول الثاني؛ على أنَّ الكلام لا ضميرَ فيه[(٣)]. يصفهم بالجُبْن والخَوَر. قال مقاتل والسُّدِّيُّ: أي: إذا نادى منادٍ في العسكر - إن انفلتت دابة، أو أُنشِدت ضالَّة - ظنُّوا أنَّهم المرادون؛ لما في قلوبهم من الرعب[(٤)]. كما قال الشاعر وهو الأخطل:

مازلت تحسب كلَّ شيء بعدهم خيلاً تَكُرُّ عليهمُ ورجالَا[(٥)]

وقيل: «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ» كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعد، وتقديره: يحسبون كلَّ صيحة عليهم أنَّهم قد فُطن بهم وعُلم بنفاقهم؛ لأنَّ للرِّيبة خوفًا. ثم استأنف الله خطابَ نبيِّه ﷺ فقال: «هُمُ الْعَدُوُّ» وهذا معنى قول الضَّحَّاك وقيل: يحسبون كلَّ صيحة يسمعونها في المسجد أنَّها عليهم، وأنَّ النبيَّ ﷺ قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبدًا وَجِلون من أن يُنزل الله فيهم أمرًا يُبيح به دماءهم، ويهتك به أستارهم[(٦)]. وفي هذا المعنى قول الشاعر:

فلو أنها عُصْفورةٌ لحسبتها مُسَوَّمَةً تَدْعو عُبَيْدًا وأَزْنَما[(٧)]

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٣، وقراءة ابن المسيب في البحر المحيط ٨/ ٢٧٢، وأوردها الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٠٩ ولم ينسبها.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨.

(٣) الكشاف ٤/ ١٠٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٥ عن مقاتل.

(٥) الكشاف ٤/ ١٠٩، ولم نقف على البيت في ديوان الأخطل، بل ورد في ديوان جرير ١/ ٥٣ [وهكذا نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢] ضمن قصيدة يهجو بها الأخطل. وورد فيه: عليكم، بدل: عليهم. وهي الأَوْلى.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٥.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٦٨، والبيت للعوَّام بن شوذب يصف فيه جبن بسطام بن قيس كما في الحيوان للجاحظ ٥/ ٢٤٠ و٦/ ٤٣٠، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٩٢٧ حيث يقول: لو أن عصفورة طارت لحسبتها - من جبنك - خيلاً معلمة، تدعو عبيداً وأزنما، أي شعارهم: يال عبيد أزنم.

بطن من بني يَرْبُوع، ثم وصفه الله بقوله: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» حكاه عبد الرحمن ابن أبي حاتم[١]. وفي قوله تعالى: «فَاحْذَرْهُمْ» وجهان: أحدهما: فاحذر أن تثقَ بقولهم، أو تميل إلى كلامهم. الثاني: فاحذر مُمَايلتهم لأعدائك، وتخذيلهم لأصحابك.

﴿قَـٰتَلَهُـمُ ٱللَّهُ﴾ أي: لعنهم اللهُ، قاله ابن عباس وأبو مالك ـ وهي كلمة ذمٍّ وتوبيخ. وقد تقول العرب: قاتله اللهُ ما أشعره! فيضعونه موضعَ التعجُّب ـ وقيل: معنى «قَاتَلهُمُ اللَّهُ» أي: أحلَّهم محلَّ من قاتله عدوٌّ قاهر؛ لأنَّ الله تعالى قاهر لكلِّ معاند. حكاه ابن عيسى[٢]. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون، قاله ابن عباس. قتادة: معناه: يعدلون عن الحقِّ. الحسن: معناه: يصرفون عن الرشد. وقيل: معناه: كيف تضلُّ عقولهم عن هذا[٣] مع وضوح الدلائل، وهو من الإفك وهو الصرف[٤]. و«أَنَّى» بمعنى كيف، وقد تقدَّم[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ لمَّا نزل القرآن بصفتهم، مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتُضحتم بالنفاق، فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم. فَلَوَّوْا رؤوسهم، أي: حَرَّكوها استهزاءً وإباءً، قاله ابن عباس[٦]. وعنه أنَّه كان لعبد الله بن أُبَيٍّ موقف في كلِّ سبب يحضُّ على طاعة الله

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٥ وما بعده منه أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٦ عدا ما بين معترضتين.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦ وعزا القول الأخير للسدي.

(٤) اللسان (أفك).

(٥) ٤/ ٧-٨ .

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ١٥ وعزاه للكلبي.

وطاعة رسوله، فقيل له: وما ينفعك ذلك ورسول الله ﷺ عليك غضبان، فَأْتِه يَستغفرْ لك. فأبى وقال: لا أذهب إليه.

وسبب نزول هذه الآيات أنَّ النبيَّ ﷺ غزا بني المُصطلِق على ماء يقال له: المُرَيْسِيع، من ناحية قُدَيد، إلى الساحل، فازدحم أجير لعمر يقال له: جهْجَاه، مع حَليف لعبد الله بن أُبيٍّ يقال له: سِنان، على ماء بالمُشَلَّلِ، فصرخ جهجاهُ بالمهاجرين، وصرخ سِنانٌ بالأنصار، فلطَم جهجاهُ سِناناً، فقال عبد الله بنُ أُبَيٍّ: أَوَقد فعلوها! واللهِ ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلا كما قال الأوَّل: سَمِّن كلبك يأْكُلْك، أما واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ ـ يعني: أُبيًّا ـ الأذلَّ ـ يعني محمَّدًا ﷺ ـ ثم قال لقومه: كُفُّوا طعامكم عن هذا الرجل، ولا تنفقوا على مَن عندَه حتى ينفضوا ويتركوه. فقال زيد بن أَرْقَم ـ وهو من رهط عبد الله ـ: أنتَ واللهِ الذليل المُنتَقَص في قومك، ومحمَّد ﷺ في عِزٍّ من الرحمن، ومودَّة من المسلمين، واللهِ لا أُحِبُّك بعد كلامكَ هذا أبدًا. فقال عبد الله: اسكت، إنَّما كنت أَلعب. فأخبر زيدٌ النبيَّ ﷺ بقوله، فأقسم بالله ما فَعَلَ ولا قال، فعذره النبيُّ ﷺ. قال زيد: فوجدت في نفسي، ولَامَنِي الناس، فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد، وتكذيب عبد الله. فقيل لعبد الله: قد نزلت فيكَ آيات شديدة، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فألوى برأسه، فنزلت الآيات. خرَّجه البخاريُّ ومسلم والترمذيُّ بمعناه. وقد تقدَّم أوَّل السورة[1].

وقيل: «يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» يستتبكم من النفاق؛ لأنَّ التوبة استغفار. ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يُعرِضون عن الرسول متكبِّرين عن الإيمان[2].

---

(١) ص٤٩٤-٤٩٥ من هذا الجزء، والخبر ذكره الواقدي في المغازي ٢/ ٤١٥-٤١٨، وابن هشام في السيرة النبوية ٢/ ٢٩٠ وما بعدها، والواحدي في أسباب النزول ص٤٥٨-٤٦١، والبغوي في التفسير ٤/٣٤٨-٣٤٩، وأخرجه الطبري في التفسير ٢٢/٦٦٦-٦٦٩ عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر، وعن عبد الله ابن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبَّان. قال: كلٌّ قد حدَّثني بعض حديث بني المصطلق. . . . الخبر».

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧.

وقرأ نافع: «لَوَوْا» بالتخفيف[١]. وشدَّد الباقون، واختاره أبو عبيد، وقال: هو فعل لجماعة. النحَّاس: وغلط في هذا؛ لأنَّه نزل في عبد الله بن أُبَيٍّ لما قيل له: تعالَ يَستغفرْ لك رسولُ الله ﷺ، حَرَّك رأسه استهزاءً. فإن قيل: كيف أخبر عنه بفعل الجماعة؟ قيل له: العرب تفعل هذا إذا كَنَّت عن الإنسان. أنشد سِيبويه لحسان:

ظننتم بأن يَخْفى الذي قد صنعتمُ وفينا رسولٌ عنده الوَحْيِ واضِعُه[٢]

وإنَّما خاطب حَسَّانُ ابنَ الأبيرِق في شيء سَرَقه بمكَّة، وقصته مشهورة.

وقد يجوز أن يخبر عنه وعمَّن فعل فعله. وقيل: قال ابن أُبَيٍّ لمَّا لَوَى رأسه: أمرتموني أن أُومِن، فقد آمنت، وأن أُعطي زكاة مالي، فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمَّد[٣]!.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يعني كلّ ذلك سواء، لا ينفع استغفارك شيئاً؛ لأنَّ اللهَ لا يغفر لهم. نظيره: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]. وقد تقدَّم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي: من سبَق في عِلْم الله أنَّه يموت فاسقاً.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

ذكرنا سبب النزول فيما تقدَّم. وابن أُبَيٍّ قال: لا تُنفقوا على مَن عند محمَّد حتى

---

(١) السبعة ص٦٣٦، والتيسير ص٢١١.

(٢) سلف ٧/ ١١٤.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٦٥، والبغوي ٤/ ٣٥٠.

ينفضُّوا، حتى يتفرَّقوا عنه[١]. فأعلمهم الله سبحانه أنَّ خزائن السماوات والأرض له، يُنفِقُ كيف يشاء. قال رجل لحاتم الأصَمِّ: من أين تأكل؟ فقال: «وِلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»[٢]. وقال الْجُنَيد: خزائن السماوات: الغيوب، وخزائن الأرض: القلوب؛ فهو عَلَّام الغيوب ومُقَلِّب القلوب[٣]. وكان الشِّبْليُّ يقول: «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» فأين تذهبون. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أنَّه إذا أراد أمرًا يَسَّره.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

القائل ابن أُبَيٍّ، كما تقدَّم. وقيل: إنَّه لمَّا قال: «لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ» ورجع إلى المدينة لم يلبث إلا أيَّاماً يسيرة حتى مات، فاستغفر له رسول الله ﷺ، وألبسه قميصه، فنزلت هذه الآية: «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ». وقد مضى بيان هذا كلِّه في سورة «براءة»[٤] مستوفًى. وروي أنَّ عبد الله بنَ عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول قال لأبيه: والذي لا إله إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول: إنَّ رسول الله ﷺ هو الأعزُّ وأنا الأذلُّ؛ فقاله[٥]. تَوَهَّمُوا أنَّ العزَّة بكثرة الأموال والأتباع، فبيَّن الله أنَّ

(١) الكشاف ٤/ ١١١.

(٢) أخرجه البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٣٥).

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ١٥.

(٤) ١٠/ ٣٢٠.

(٥) أخرج الترمذي (٣٣١٥) عن جابر بن عبد الله أنه قال: كنَّا في غزاة ـ قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق ـ فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجري: يَالَ المهاجرين. وقال الأنصاري: يَالَ الأنصار. فسمع ذلك النبيُّ ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية»؟ قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: «دعوها؛ فإنها منتنة». فسمع ذلك عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول، فقال: أَوَقَدْ فعلوها، واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه». وقال غير عمر: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: واللهِ لا تنفلت حتى تُقِرَّ أنَّكَ الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

العِزَّة والمَنَعَة والقُوَّة لله.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾

حذَّر المؤمنين أخلاقَ المنافقين، أي: لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا ـ للشُّح بأموالهم ـ: لا تُنْفِقُوا على مَن عند رسول الله. ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الحجِّ والزكاة[1]. وقيل: عن قراءة القرآن. وقيل: عن إدامة الذكر[2]. وقيل: عن الصلوات الخمس، قاله الضحاك[3]. وقال الحسن: جميع الفرائض؛ كأنَّه قال: عن طاعة الله[4]. وقيل: هو خطاب للمنافقين، أي: آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربِّه[5] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يدلُّ على وجوب تعجيل أداء الزكاة، ولا يجوز تأخيرها أصلاً[6]. وكذلك سائر العبادات إذا تعيَّن وقتها.

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ

---

(١) أخرجه الطبري ٢٢/٦٧٣ عن سفيان.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٧ .

(٣) أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٧٠-٦٧١ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٠ .

(٦) أحكام القرآن للهراسي ٤/ ٤١٧ .

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ سأل الرجعةَ إلى الدنيا ليعملَ صالحاً. وروى الترمذيُّ عن الضَّحَّاك بن مُزاحم، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلِّغه حجَّ بيتِ ربِّه، أو تجب عليه فيه زكاةٌ، فلم يَفعلْ، سَأَلَ الرجعةَ عند الموت. فقال رجل: يا ابن عباس، اتَّقِ الله، إنَّما سأل الرجعةَ الكفَّارُ؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنًا: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ ولَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» إلى قوله: «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المالُ مئتين فصاعداً. قال: فما يوجب الحجَّ؟ قال: الزاد والراحلة[١].

قلت: ذكره الحَلِيمِيُّ أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب «مِنهاج الدِّين»[٢] مرفوعاً فقال: وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده مال يبلّغه الحج. . .» الحديث؛ فذكره. وقد تقدَّم في «آل عمران» لفظه[٣].

الثالثة: قال ابن العربيِّ[٤]: أخذ ابن عباس بعموم الآية في إنفاق الواجب خاصَّةً دون النفل؛ فأمَّا تفسيره بالزكاة فصحيح كلُّه عموماً وتقديراً بالمئتين. وأما القول في الحجِّ ففيه إشكال؛ لأنَّا إن قلنا: إنَّ الحجَّ على التراخي، ففي المعصية في الموت قبل الحجِّ، خلاف بين العلماء؛ فلا تُخَرَّج الآية عليه. وإن قلنا: إنَّ الحجَّ على الفور، فالآية في العموم صحيح؛ لأنَّ من وجب عليه الحجُّ، فلم يؤدِّه، لَقِيَ مِنَ الله ما يودُّ أنَّه رجع ليأتيَ بما ترك من العبادات. وأمَّا تقدير الأمر بالزاد والراحلة، ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء. وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل؛ لأجل أنَّ الرجعة

---

(١) الترمذي (٣٣١٦)، وسلف ٥/ ٢٣٢ عن ابن عباس مرفوعاً. قال الترمذي عن الموقوف: وهذا أصح. . . .

(٢) ٢/ ٣٤١ .

(٣) ٥/ ٢٣٢ .

(٤) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٠١-١٨٠٢ .

والوعيد لا يدخل في المسائل المجتهد فيها ولا المختلف عليها، وإنَّما يدخل في المتَّفق عليه. والصحيح تناوله للواجب من الإنفاق كيف تصرف بالإجماع أو بنص القرآن؛ لأجل أنَّ ما عدا ذلك لا يتطرَّق إليه تحقيق الوعيد.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَّا[1]؛ فيكون استفهاماً. وقيل: «لا» صلة؛ فيكون الكلام بمعنى التمنِّي. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ نصب على جواب التمنِّي بالفاء. ﴿وَأَكُن﴾ عطف على «فَأَصَّدَّقَ» وهي قراءة أبي عمرو وابن مُحَيْصِن ومجاهد. وقرأ الباقون: «وَأَكُنْ» بالجزم، عطفاً على موضع الفاء؛ لأنَّ قوله: «فَأَصَّدَّق» لو لم تكن الفاء، لكان مجزوماً، أي: أصدق. ومثله: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٦] فيمن جزم[2]. قال ابن عباس: هذه الآية أشدُّ على أهل التوحيد؛ لأنَّه لا يتمنَّى الرجوع في الدنيا أو التأخير فيها أحدٌ له عند الله خير في الآخرة.

قلت: إلا الشهيدَ فإنَّه يتمنَّى الرجوع حتى يقتل؛ لما يرى من الكرامة. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشرٍّ[3]. وقراءة العامة بالتاء على الخطاب. وقرأ أبو بكر عن عاصم والسُّلَميّ بالياء[4]؛ على الخبر عمَّن مات وقال هذه المقالة.

تمت السورة بحمد الله وعونه

تم الجزء العشرون من تفسير القرطبي
ويليه الجزء الواحد والعشرون، ويبدأ بتفسير سورة التغابن

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/١٧٨ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٤٣٦-٤٣٩ ، والقراءة في السبعة ص٦٣٧ ، والتيسير ص٢١١ ، والمحرر الوجيز ٥/٣١٦ .

(٣) الوسيط ٤/٣٠٥ .

(٤) السبعة ص٦٣٧ ، والتيسير ص٢١١ .

سُورَةُ المُنَافِقُون

مَدنيَّةٌ، وآيُها إحدى عشرةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ الشَّهادةُ: إخبارٌ عن علمٍ؛ مِن الشُّهودِ، وهوَ الحضورُ والاطِّلاعُ، ولذلكَ صدَّقَ المشهودَ بهِ وكذَّبَهم في الشَّهادةِ بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنَّهم لم يعتقدوا ذلك.

(٢) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ حلفَهُم الكاذبَ أو شهادتَهُم هذهِ، فإنها تجري مجرَى الحلِفِ في التَّوكيدِ.

وقُرِئَ: (إيمانَهُم)[1].

﴿جُنَّةً﴾ وقايةً عن القتلِ والسَّبيِ.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صَدًّا أو صُدودًا.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ مِن نِفاقِهم وصَدِّهِم.

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكلامِ المتقدِّمِ؛ أي: ذلكَ القولُ الشَّاهدُ على

---

(١) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٢).

سوءِ أعمالِهم، أو إلى الحالِ المذكورةِ من النِّفاقِ والكذبِ والاستجنانِ بالإيمانِ(١).

﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بسببِ أنَّهم آمنوا ظاهرًا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سرًّا، أو آمنُوا إذا رأَوا آيةً ثمَّ كفرُوا حينما سمعُوا من شياطِينهم شُبهةً.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تمرَّنُوا على الكفرِ واستحكمُوا فيهِ.

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حقيقةَ الإيمانِ ولا يعرفونَ صِحَّتهُ.

(٤) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامَتِها وصَباحَتِها.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لذلاقَتِهم وحَلاوةِ كلامِهم، وكان ابنُ أبيٍّ جسيمًا فصيحًا يحضرُ مجلسَ رسولِ اللهِ في جمعٍ مثلِهِ، فيُعجَبُ بهيكَلِهم ويُصغَى إلى كلامِهم(٢).

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ حالٌ من الضَّميرِ المجرورِ في ﴿لِقَوْلِهِمْ﴾ أي: تسمعُ لما يقولونه مشبَّهينَ بأخشابٍ مَنصوبةٍ مسندةٍ إلى الحائطِ في كونِهم أشباحًا خاليةً عن العلمِ والنَّظرِ.

وقيل: الخُشُبُ جمع خشباءَ، وهي الخشبةُ التي نَخِرَ جوفُها، شبِّهُوا بها في حسنِ المَنْظَرِ وقبحِ المَخْبَرِ.

---

(١) قوله: «بالإيمان»؛ بكسر الهمزة وفتحها. انظر: «حاشية الخفاجي»، وضبط في نسخة الفاروقي بالوجهين.

(٢) قوله: «فيعجب» و«يصغى» بالبناء للمجهول، لأنه عليه الصلاة والسلام لا يعجبه مثل هؤلاء الصور الفارغة. انظر: «حاشية الخفاجي».

وقرأ أبو عمرٍو[1] والكِسائيُّ وقُنبل عن ابنِ كثيرٍ بسكون الشِّينِ على التَّخفيفِ[2]، أو على أنه كبُدْن في جمعِ بَدَنةٍ.

﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: واقعةً عليهم لجُبنِهم واتهامِهم، فـ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ثاني مفعولَي ﴿يَحۡسِبُونَ﴾[3]، ويجوزُ أن يكونَ صلتَهُ والمفعولُ: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾، وعلى هذا يكونُ الضَّميرُ للكلِّ، وجمعُه بالنَّظرِ إلى الخبرِ، لكنَّ ترتُّبَ قولِه: ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ عليهِ يدلُّ على أنَّ الضَّميرَ للمنافقينَ.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاءٌ عليهِم، وهو طلبٌ من ذاتِهِ أن يلعنَهُم، أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يدعُوا عليهِم بذلكَ.

﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيفَ يُصرفونَ عن الحقِّ.

(٥) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ عَطَفُوها إعراضًا واستكبارًا عن ذلكَ.

وقرأ نافع بتخفيف الواو[4].

﴿وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ يعرِضونَ عن الاستغفارِ[5] ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عَن الاعتذارِ.

(٦) - ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ لرُسوخِهم في الكفرِ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «وقرأ أبو بكر».

(٢) وهي بخلف عن قنبل فروى ابن مجاهد عنه الإسكان، وروى ابن شنبوذ عنه الضم، وقراءة الباقين: ﴿خُشُبٌ﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١)، و«النشر» (٢/ ٢١٧).

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ١٩١)، و«النشر» (٢/ ٢٣٦).

(٤) وقراءة الباقين بالتشديد، انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٥) في نسخة الفاروقي: «يعرضون عن استكبار». وفي الهامش كالمثبت نسخة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن مَظِنَّةِ الاستصلاحِ[1] لانهماكِهم في الكفرِ والنِّفاقِ.

(٧) - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: للأنصارِ ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ يعنونَ فقراءَ المهاجرينَ.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بيدِهِ الأرزاقُ والقِسَمُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ذلكَ لجهلِهم باللهِ.

(٨) - ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ رُوِيَ أنَّ أعرابيًّا نازعَ أنصاريًّا في بعضِ الغزواتِ على ماءٍ، فضربَ الأعرابيُّ رأسَهُ بخشبةٍ فشكى إلى ابنِ أبيٍّ فقال: لا تنفِقُوا على من عندَ رسولِ اللهِ حتى ينفضُّوا، وإذا رَجَعْنا إلى المدينةِ فلَيُخرجِ الأعزُّ الأذلَّ. عنى بالأعزِّ نفسَهُ وبالأذلِّ رسولَ اللهِ[2].

---

(١) في نسخة الخيالي: «الإصلاح».

(٢) ذكر الأثر بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٥٢ - ٤٦٣)، وعزاه لأهل التفسير وأصحاب السير، وكذلك تلميذه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣١ - ٤٣٣)، ورواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٢٩٠) في غزوة بني المصطلق من طريق ابن إسحاق، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٦) من طريق ابن إسحاق.

قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٣٤): واعلَمْ أن الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما مختصراً من حديث زيد بن أرقم، اهـ.

ورواه البخاري (٤٩٠٠) وأطرافه، ومسلم (٢٧٧٢).

وروى طرفاً منه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه بعد قول ابن أبي: والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، قال عمر: دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتلُ أصحابه».

وقُرِئَ: (ليَخرُجَنَّ) بفتحَ الياءِ[1]، و(ليُخْرَجَنَّ) على بناءِ المفعولِ[2]، و(لنُخرِجَنَّ) بالنُّونِ ونصبِ (الأعزَّ) و(الأذلَّ)[3] على هذهِ القراءاتِ[4]؛ مَصْدرٌ أو حالٌ على تقديرِ مُضافٍ، كخُرُوجِ أو إخراجِ أو مثل.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وللهِ الغلبةُ والقوَّةُ ولِمَن أعزَّهُ مِن رسولهِ والمؤمنينَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ فرطِ جهلِهم وغُرورِهم.

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ لا يُشْغِلْكم تدبيرُها والاهتمامُ بها عن ذكرهِ كالصَّلاةِ وسائرِ العباداتِ المذكِّرة للمعبودِ، والمرادُ نهيُهم عن اللَّهوِ بها، وتوجيهُ النَّهيِ إليها للمبالغةِ، ولذلكَ قال:

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اللَّهوَ بها، وهو الشُّغلُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٥)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥)، ونسبها ابن عطية وأبو حيان للكسائي والفراء عن قوم لم يسمهم، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٠)، وليس فيه التصريح بكونها قراءة، ولفظه: «ويجوز في القراءة...» فذكرها.

ومعناها كما قال ابن خالويه: ليخرجن العزيز منها ذليلاً، وليصيرن العزيز ذليلاً، قال: حكاه الخليل في كتاب «العين»، قلت: لم أجد ذلك في مطبوعه، وقاله الفراء في الموضع المذكور من «معاني القرآن».

(٢) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٢٨)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥) دون نسبة.

(٣) وهي قراءة الحسن وابن أبي عبلة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٨)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٨)، و«الكشاف» (٩/ ١٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٥)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٥)، وهي في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٠) دون نسبة.

(٤) يعني القراءات الثلاث.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ لأنَّهم باعوا العظيمَ الباقي بالحقيرِ الفاني.

(١٠) - ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ بعضَ أموالِكُم ادِّخارًا للآخرةِ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أن يرى دلائلَهُ ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أمهلتَني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ أمدٍ غيرِ بعيدٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ فأتصدَّقَ ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالتَّدارُكِ.

وجزمُ ﴿أكن﴾ للعطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَهُ.

وقرأَ أبو عمرٍو ﴿وأكونَ﴾ منصوبًا[١] عطفًا على أصَّدق، وقُرِئَ بالرَّفعِ[٢] على: وأنا أكونُ فيكونُ عِدَةً بالصَّلاحِ.

(١١) - ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا﴾ ولن يُمهلَها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ آخرُ عمرِها.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فمُجازٍ عليهِ.

وقرأَ أبو بكرٍ بالياءِ[٣] ليوافقَ ما قبلَهُ في الغَيبةِ.

عن النبيِّ ﷺ: «من قرأَ سورةَ المنافقينَ بَرِئَ من النِّفاقِ»[٤].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٢) انظر: «الكشاف» (٩/ ١٣٢)، و«البحر» (٢٠/ ٣٤٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٢). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سورة المنافقون(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ
خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا
تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ (٨)﴾ .

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ الآية، هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق، كانت من عبدالله بن أبيّ بن سلول وأتباعه [فيها أقوال]. وسبب نزولها(٢) مذكور في قصّة طويلة من

---

(١) مدنية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٨٧، ولباب النقول ص٢١٤. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٨٥٩.

مضمونها أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء، وذلك في غزوة بني المصطلق، فشجّ أحدهما الآخر، فدعا المشجوج بالأنصار، والشّاجّ بالمهاجرين. فقال عبد الله بن أبيّ ما حكى الله عنه من قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا» وقوله «لئن رجعنا إلى المدينة] ليخرجن الأعز [٥٤٥/أ] منها الأذل»(١) وعنى بالأعزّ نفسه، وكلاماً قبيحاً. فسمعه زيد ابن أرقم ونقل ذلك إلى الرسول عليه السلام، فلام رسول الله عبدالله، فحلف ما قال شيئاً من ذلك، فاتُّهم زيد فأنزل الله «إذا جاءك المنافقون» إلى قوله «لا يعلمون» تصديقاً لزيد وتكذيباً لعبد الله.

ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربّما كان حاصلاً عن المنافقين واتّبعهم ناس من المؤمنين في ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة، إذ كان وقت مجاعة - جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم. وقولهم «لا تنفقوا» كانوا أصحاب أموال، والمهاجرون فقراء، قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى.

﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ﴾ يجري مجرى اليمين ولذلك تُلُقّي بما يُتلقّى به القسم. وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾. وأصل الشهادة أن يواطىء اللسان القلب هذا بالنطق وذاك بالاعتقاد، فأكذبهم الله وفضحهم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطىء قلوبهم ألسنتهم على تصديقك واعتقادهم أنك غير رسول، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم، أو كاذبون عند أنفسهم إذ كانوا يعتقدون أن قولهم «إنك لرسول الله» كذب. وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله «والله يعلم إنك

(١) الآيتان ٧، ٨.

لرسوله» إيذاناً أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقّاً. ولو لم تأت هذه الجملة لتُوُهِّم أن قولهم هذا كذب، فوُسّطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ سمّى شهاداتهم تلك أيماناً. ولمّا ذكر أنهم كاذبون، أتبعه بموجب كذبهم، وهو اتخاذ أيمانهم جنّة، يستترون بها ويذبّون بها عن أنفسهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّواْ﴾ أي: أعرضوا وصدّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الحلف الكاذب والصدّ المقتضيان لهم سوء[1] العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم. ﴿فَطُبِعَ﴾ أي: ختم على قلوبهم. ومعنى ﴿ءَامَنُواْ﴾ نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون. ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أي: ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد.

﴿تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ الخطاب للرسول أو للسامع، أي: لحسنها ونضارتها وجمالها، وهم رؤساء المنافقين. ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ وذلك لفصاحة ألسنتهم وجهارة أصواتهم، فكان منظرهم يروق ومنطقهم يخلب.

وشبّهوا بالخشب لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان. والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخَوَر، ويدلّ عليه ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾. و«عليهم» في موضع المفعول الثاني لـ«يحسبون» أي: واقعة عليهم [٥٤٥/ب] وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ لمّا صدّق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن

(١) ق: سواء سوء.

سلول، مقت الناس ابن سلول، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم: امضِ إلى رسول الله، واعترف بذنبك، يستغفر لك. فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي وقال لهم: لقد أشرتم عليّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلاّ أن تأمروني بالسجود لمحمد.

و﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ مجزوم على جواب الأمر. و«رسول الله» يطلبه عاملان أحدهما «يستغفر» والآخر «تعالوا»، فأُعمل الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أعمل الأول لكان التركيب: تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله. وَلَيُّ رؤوسهم هو على سبيل الاستهزاء. واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق، فيستغفر لهم إذ كان استغفاره متسبباً عن استتابتهم فيتوبون. ﴿ورأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ[1]﴾ عن المجيء. و«يصدّون» جملة حالية. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ جملة حالية أيضاً. ولمّا سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون ألبتة سوّى بين استغفاره لهم وعدمه.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لمّا سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبيّ [وكان رجلاً صالحاً] هذه الآية جاء إلى أبيه فقال: يا أبت أنت والله الذّليل ورسول الله العزيز. فلما دنا إلى المدينة جرّد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن له رسول الله. وكان فيما قال له: وراءك! والله لا تدخلها حتى تقول: رسول الله الأعزّ وأنا الأذلّ. فلم يزل حبيساً في يده حتى أذن له الرسول بتخليته. وفي هذا الحديث أنه قال [له]: لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعزّة لأضربنّ عنقك. قال: أفاعل أنت؟. قال: نعم. فقال: أشهد أن العزّة

(١) ق: وهم يصدّون.

لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ لَا تُلْهِكُمْ ﴾ لا تشغلكم. ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾ بالسعي في نمائها. ﴿ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ بالسرور بهم والنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم. ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ هو عام في الصلاة والثّناء على الله بالتسبيح والتّحميد وغير ذلك. ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الشغل عن ذكر الله بالمال والولد. ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ حيث آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي.

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ المراد الزّكاة، وقيل: عام في كل مفروض ومندوب. ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ ﴾ أي: هلاّ أخّرت موتي إلى زمان قليل. ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ هو منصوب على جواب الرغبة[1]. وقرأ الجمهور: وأكن، مجزوماً.

قال الزمخشري[2]: عطفاً على محل «فأصّدق» كأنه قيل: إن أخّرتني أصّدقْ وأكن.

وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن التقدير: إن تؤخّرني أصّدق وأكن، هذا مذهب أبي علي الفارسي.

---

(١) ق: الرعيّة.

(٢) الكشاف ٤: ١١٢.

وأمّا ما حكاه سيبويه[1] عن الخليل فهو غير هذا؛ وهو أنه جزم «أكن» على توهّم الشرط [٥٤٦/أ] الذي يدلّ عليه التمنّي. ولا موضع [له] هنا لأن الشرط ليس بظاهر. وإنما يُعطفُ على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف]. فمن قرأ بالجزم عطف على موضع «فلا هادي له» لأنه لو وقع هنالك فعل كان مجزوماً انتهى.

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهّم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثّره، والعامل في العطف على التّوهم مفقود وأثره موجود.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذر أن يجيء الأجل، وقد فرّط ولم يستعدّ للقاء الله تعالى.

وقرأ الجمهور: تعملون، بتاء الخطاب للناس كلهم. وأبو بكر بالياء، خصّ الكفار بالوعيد، ويحتمل العموم.

(١) انظر الكتاب ٣: ١٠٠.

سورة المنافقون

المفردات الجسم والخشب معروفان.

أسندت ظهري إلى الحائط: أمَلْتُه وأضَفْتُه إليه[1]. وتساند القومُ: اصطَفُّوا وتقابلوا للقتال[2].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا
ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

---

(١) تفسير البغوي ٤/٣٤٨ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

﴿٩ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١﴾.

التفسير

هذه السورة مدنية، نزلت في غزوة بني المُصْطَلِق، كانت من عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول وأتباعِه فيها أقوالٌ، فنزلت[١].

وسبَبُ نزولها مذكورٌ في قصةٍ طويلةٍ من مضمونها أنَّ اثنين من الصحابة ازْدَحما على ماءٍ ـ وذلك في غزوة بني المُصْطَلِق ـ فشَجَّ أحدُهما الآخَر، فدعا المشجوجُ: ياللأنصار، والشاجُّ: ياللمهاجرين، فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول ما حكى اللهُ تعالى عنه من قوله: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾، وقوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾وعنى الأعزَّ نفسَه، وكلاماً قبيحاً، فسمِعَه زيدُ بن أرقم، ونقل ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلامَ رسولُ الله ﷺ عبد الله، فحَلفَ ما قال شيئاً من ذلك، فاتُّهِمَ زيدٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ الْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ تصديقاً لزيد، وتكذيباً لعبد الله بن أُبيّ[٢].

ومناسبة هذه السورة لِما قبلَها أنَّه لمَّا كان سببُ الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلاً عن المنافقين واتَّبعهم ناسٌ كثيرٌ من المؤمنين في ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالمِيرة، إذ كان وقت مجاعة، جاء ذِكْرُ المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾؛ إذ كانوا هم أصحابَ أموال، والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالَهم ومتاجِرَهم وهاجروا لله تعالى.

﴿قَالُوا نَشْهَدُ﴾ يجري مجرى اليمين؛ ولذلك تُلُقِّي بما يُتَلَقَّى به القَسَم، وكذا

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١١.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٠٠-٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢)، وأحمد (١٩٢٨٥) من حديث زيد بن أرقم ﷺ. والبخاري (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، وأحمد (١٥٢٢٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٥٧-٤٦١، والكشاف ٤/ ١١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٣-٣١٤.

فِعْلُ اليقين والعلم يجري مجرى القَسَم بقوله: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[١].

وأصلُ الشهادة أن يُواطِئ اللسانُ القلبَ؛ هذا بالنُّطق، وذلك بالاعتقاد[٢]، فأكذبَهم الله وفضحَهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطىء قلوبُهم ألسنتَهم على تصديقِك، واعتقادُهم أنَّك غيرُ رسول، فهم كاذبون عند الله وعند مَنْ خَبَرَ حالَهم، أو كاذبون عند أنفسهم؛ إذ كانوا يعتقدون أنَّ قولَهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كَذِبٌ، وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾إيذاناً أنَّ الأمرَ كما لفظوا به مِنْ كَوْنِه رسولَ الله حقًّا، ولو لم تأتِ هذه الجملة لَتُوُهِّم أنَّ قولَهم هذا كذب، فوسَّطَتِ الأمرَ بينهما ليزولَ ذلك التَّوَهُّم[٣].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾سمَّى شهاداتهم تلك أيماناً.

وقرأ الجمهور: «أيمانهم» بفتح الهمزة، جمع يمين. والحسن بكسرها، مصدر «آمن»[٤].

ولمَّا ذكر أنَّهم كاذبون أتبعه[٥] بموجب كفرهم[٦]، وهو اتِّخاذ أيمانهم جُنَّةً يستترون بها ويذُبُّون بها عن أنفسهم وأموالهم، وكذلك إيمانهم الذي أظهروه - وليس حقيقةً - تستَّروا به، وصانوا به أنفسهم وأموالهم[٧]، كما قال بعض الشعراء:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلَّا لِصَوْنِ دمائهم أنْ لا تُسالا[٨]

ومِنْ أيمانهم أيمانُ عبد الله ومَنْ حلفَ معه من قومه أنَّه ما قالَ ما نقَلَه زيدُ بن

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١ بنحوه.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٩٩ بنحوه.
(٣) الكشاف ٤/ ١٠٧-١٠٨ بنحوه، وما بعده منه.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٧، والمحتسب ٢/ ٣٢٢.
(٥) في (أ) والمطبوع: أتبعهم.
(٦) في (يه) وحدها: كذبهم.
(٧) من قوله: وكذلك إيمانهم.. إلى هنا من (يه).
(٨) سلف في تفسير مفردات الآية (١٤٢) من سورة النساء.

أرقم إلى رسول الله ﷺ، جعلوا تلك الأيمانَ جُنَّةً تقي من القتل. وقال أعشى هَمْدان:

إذا أنتَ لم تجعَلْ لعِرْضِكَ جُنَّةً ... من المالِ سارَ الذَّمُّ[1] كلَّ مَسيرِ[2]

وقال الضحَّاك: اتَّخذوا حَلِفَهم بالله إنَّهم لمنكم[3]. وقال قتادة: كلَّما ظهرَ على شيءٍ منهم يوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين؛ عِصمةً لأموالهم ودمائهم[4]. وقال السُّدِّي: جُنَّةً من ترك الصلاة عليهم إذا ماتوا[5].

﴿فَصَدُّوا﴾أي: أعرضوا، أو صدُّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام[6].

﴿ذَٰلِكَ﴾أي: ذلك الحلف الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم[7].

وقال ابن عطية[8]: ﴿ذَٰلِكَ﴾إشارة إلى فعل الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم. ويحتمل أن تكون الإشارةُ إلى سوء ما عملوا، فالمعنى: ساءَ عملُهم بأن كفروا.

وقال الزمخشري[9]: ذلك القولُ الشاهدُ عليهم بأنَّهم أسوأُ النَّاسِ أعمالاً، بسبب أنَّهم آمنوا ثم كفروا، أو إلى ما وُصِفَ من حالهم في النفاق والكذب

(١) في (أ) والمطبوع: القوم.
(٢) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٤ للأعشى ميمون، ولم أجده في ديوانه. والبيت لعمرو بن أحمر كما في معجم الشعراء ص ٢٤.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٨٠، والوسيط ٤/ ٣٠٢. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٥١.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣١، والنكت والعيون ٦/ ١٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٥١.
(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٩٩.
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٢ بنحوه.
(٨) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.
(٩) في الكشاف ٤/ ١٠٨.

والاستجنان[١] بالأيمان، أي: ذلك كلُّه بسبب أنَّهم آمنوا ثم كفروا.

وقرأ الجمهور: «فطُبِعَ» مبنيًا للمفعول. وزيد بن علي مبنيًا للفاعل، أي: فطبَعَ اللهُ. وكذا قراءة الأعمش وزيد في رواية مُصرَّحاً بالله[٢]. ويحتمل على قراءة زيد الأولى أن يكون الفاعل ضميراً يعود على المصدر المفهوم من ما قبله، أي: فطبَعَ هو، أي: بلَعِبِهم بالدِّين.

ومعنى «آمنوا»: نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل المسلمون، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾أي: ظهرَ كفرُهم بما نطقوا به بَعْدُ من قولهم: لئِنْ كان ما يقولُه محمدٌ حقًّا فنحن شَرٌّ من الحمير. وقولهم: أيطمَعُ هذا الرجلُ أن تُفتَحَ له قصورُ كسرى وقيصر، هيهات. أو نَطَقوا بالإيمان عند المؤمنين، وبالكفر عند شياطينهم. أو ذلك فيمن آمن ثمَّ ارتدَّ[٣].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾الخطاب للرسول ﷺ أو للسامع، أي: لحُسْنها ونضارتها وجمالِها، وهم رؤساء المنافقين.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، وذلك لفصاحة ألسنتِهم[٤]، وجهارة أصواتِهم، فكان منظرُهم يروق، ومنطِقُهم يُجاب[٥].

وقرأ الجمهور: «تَسْمَعْ» بتاء الخطاب. وعكرمة وعطية العَوْفي: «يُسْمَعْ» بالياء مبنيًا للمفعول[٦]. و«لقولِهم» الجار والمجرور هو المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه، وليست اللَّامُ زائدة، بل ضُمِّنَ «تَسْمَعْ» معنى تُصْغِ وتمِلْ، فعُدِّي باللَّام وليست زائدة، فيكون قولهم هو المسموع.

---

(١) في النسخ سوى (يه): والاستخفاف.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٦ عن الأعمش، والكشاف ٤/١٠٩ عن زيد بن علي.

(٣) الكشاف ٤/١٠٨ بنحوه.

(٤) من قوله: وجمالها... إلى هنا من (يه) وحدها.

(٥) في المطبوع: يحلو.

(٦) المحرر الوجيز ٥/٣٠٨. ووقع في القراءات الشاذة ص ١٥٦-١٥٧: «تسمع» بالتاء ودون ضبط، ونسبها لعطية العوفي.

وشُبِّهوا بالخُشُب؛ لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكفِ حتى جعلها مُسندَةً إلى الحائط لا انتفاع بها؛ لأنَّها إذا كانت في سقفٍ أو مكانٍ يُنتفَعُ بها، وأمَّا إذا كانت غيرَ مُنتَفَعٍ بها فإنَّها تكون مُهملَةً مُسنَدةً إلى الحيطان، أو مُلقاةً على الأرض قد صُففَتْ. أو شُبِّهوا بالخشب التي هي الأصنام، وقد أُسْنِدَتْ إلى الحيطان. أو شُبِّهوا في اصطفافهم في الأندية بالخشب بالمصطفَّة إلى الحيطان[١].

والجملة التشبيهية مستأنَفة، أو على إضمار «هم».

وقرأ الجمهور: «خُشُب» بضَمِّ الخاء والشين. والبراء بن عازب والنَّحْويان وابنُ كثير بإسكان الشين[٢] تخفيف «خُشُب» المضموم. وقيل: جمع «خَشْباء» كحُمْر جمع حَمْراء، وهي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها، شُبِّهوا بها في فسادِ بواطِنِهم[٣].

وقرأ ابن المسيِّب وابن جُبير: «خَشَب» بفتحتين[٤]، اسم جنس، الواحد خَشَبة، وأُنِّثَ وصفُه كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] أشباحٌ بلا أرواح، وأجسامٌ بلا أحلام[٥]. وذُكِرَ ممَّن كان ذا بهاءٍ وفصاحةٍ عبدُ الله بن أُبيّ والجَدّ بن قيس ومُعتِّب بن قُشَير[٦]. قال الشاعر في مثل هؤلاء:

لا تخدعَنْكَ اللِّحى ولا الصُّوَرُ ... تسعةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَرُ

تراهُمُ كالسَّحاب منتشراً ... وليس فيها لطالبٍ مطرُ

في شجرِ السَّرْوِ منهمُ شَبَهٌ ... لَهُ رُواءٌ وما لَهُ ثمرُ[٧]

---

(١) الكلام من الكشاف ٤/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ بنحوه.

(٢) قراءة النحويين أبي عمرو والكسائي، وابن كثير من رواية قنبل عنه في السبعة ص٦٣٦، والتيسير ص ٢١١، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

(٣) الكشاف ٤/ ١٠٩.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ١٤.

(٧) الأبيات لابن لَنْكك محمد بن محمد البصري، وهي في يتيمة الدهر ٢/ ٤١٠، والبيت

وقيل: الجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخَوَر[١]، ويدلُّ عليه: «يحسبون كلَّ صيحة عليهم» في موضع المفعول الثاني لـ «يحسبون» أي: واقعةً عليهم، وذلك لجُبنهم وما في قلوبهم من الرعب[٢].

قال مقاتل: كانوا متى سمعوا بنِشْدان ضالَّة أو صياحاً بأيِّ وجهٍ كان، أو أُخبروا بنزول وحيٍ طارَتْ عقولُهم حتى يسكن ذلك، ويكون في غير شأنهم، وكانوا يخافون أن يُنزِلَ الله تعالى فيهم ما تُباحُ به دماؤهم وأموالهم، ونحو هذا قول الشاعر:

يُــرَوِّعُــهُ الــسِّــرارُ بــكــلِّ أرضٍ   مـخـافـةَ أن يـكـون بـهِ الـسِّـرارُ[٣]

وقال جرير:

ما زلْتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ   خيلاً تَكُرُّ عليهمُ ورِجالا

أنشده ابن عطية لجرير[٤]، ونسب هذا البيت الزمخشريُّ للأخطل[٥]. قال: ويجوز أن يكون «هم العدوُّ» المفعولَ الثاني، كما لو طرحتَ الضمير، فإن قلتَ: فحقُّه أن يقول: هي العدو؟! قلت: منظورٌ فيه إلى الخبر، كما ذُكِرَ في: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧] وأن يُقدَّرَ مضافٌ محذوفٌ على: يحسبون كلَّ أهل صيحة. انتهى.

= الثالث في ثمار القلوب ص ٥٩٢، وأسرار البلاغة ص ٩٩. والرُّواء: المنظر الحسن. اللسان (روي).

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠١ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٩.

(٣) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٣٣٢، وفيه: أمر، بدل: أرض. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩.

(٤) وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/ ٥٣، وفيه: عليكم، بدل: عليهم. وهو الأوْلى، ونُسب لجرير في الحيوان ٥/ ٢٤٠، والأغاني ١٢/ ٢٠٠، والعقد الفريد ٣/ ١٣٢، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٦٤.

(٥) لم أجده في ديوان الأخطل، ولم أجد من نسبه إليه سوى الزمخشري في كشافه ٤/ ١٠٩ ومن نقل عنه.

وتخريج «هم العدوُّ» على أنَّه مفعولٌ ثانٍ لـ «يحسبون» تخريجٌ مُتكلَّفٌ بعيدٌ عن الفصاحة، بل المُتبادَرُ إلى الذِّهن السليم أن يكون «هم العدوُّ» إخباراً منه تعالى بأنَّهم ـ وإن أظهروا الإسلام ـ وأتباعَهم هم المبالغون في عداوتك؛ ولذلك جاء بعده أمرُه تعالى إيَّاه بحذَرِهم، فقال: «فاحْذَرْهم»، فالأمر بالحذر مُتسببٌ عن إخباره بأنَّهم هم العدو.

و«قاتلَهم الله» دعاءٌ يتضمَّن إبعادَهم وتمنِّي الشرِّ لهم، وأن يدعُوَ عليهم المؤمنون بذلك[١].

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ؟ وفيه تعجُّبٌ من ضلالهم وجهلهم[٢].

ولمَّا أخبرَه تعالى بعداوتهم أمرَه بحَذَرِهم فلا يثقُ بإظهار مودَّتِهم ولا بلين كلامهم[٣].

و«قاتَلَه الله» كلمةُ ذَمٍّ وتوبيخ، وقالت العرب: قاتلَهُ اللهُ ما أشعَرَه! يضعونه موضعَ التعجُّب، ومَنْ قاتَلَه اللهُ فهو مغلوبٌ؛ لأنَّه تعالى هو القاهرُ لكلِّ معاندٍ[٤].

و«كيف» استفهام، أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ ولا يرون رشدَ أنفسهم.

قال ابن عطية[٥]: ويحتمل أن يكون «أنَّى» ظرفاً لـ«قاتَلَهم»، كأنَّه قال: قاتَلَهم اللهُ كيف انصرفوا أو صُرِفوا، فلا يكون في القول استفهامٌ على هذا. انتهى.

ولا يصِحُّ أن يكون «أنَّى» لمجرَّدِ الظَّرف، بل لا بُدَّ أن يكون ظرفاً استفهاماً إمَّا بمعنى «أين» أو بمعنى «متى» أو بمعنى «كيف»، أو شرطاً بمعنى «أين»، وعلى هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٢ بنحوه.

(٤) الكلام ـ دون قوله: ومن قاتله الله فهو مغلوب ـ من النكت والعيون ٦/ ١٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٢.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢-٣١٣، وما قبله منه.

التقادير لا يعمَلُ فيها ما قبلَها، ولا تتجرَّدُ لمطلق الظرفية بحالٍ من غير اعتبار ما ذكرناه، فالقول بذلك باطل.

ولمَّا صدَّقَ اللهُ زيدَ بنَ أرقم فيما أخبَرَ به عن ابن سَلول مقَتَ الناسُ ابنَ سلول، ولامَه المؤمنون من قومه، وقال بعضُهم: امْضِ إلى رسول الله ﷺ واعترِفْ بذنبِكَ يستغفِرْ لك، فلوى رأسَه إنكاراً لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشَرْتُم عليَّ بالإيمان فآمنتُ، وأشَرْتُم عليَّ بأنْ أُعطيَ زكاةَ مالي ففعَلْتُ، ولم يبقَ لكم إلَّا أن تأمروني بالسجود لمحمد[١].

و«يستغفِرْ» مجزومٌ على جواب الأمر، و«رسولُ الله» يطلبه عاملان، أحدُهما «يستغفِرْ» والآخر «تعالَوا» فأُعمِلَ الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أُعمِلَ الأول لكان التركيب: تعالوا يستغفِرْ لكم إلى رسول الله[٢].

وقرأ مجاهد، ونافع، وأهل المدينة، وأبو حَيْوة، وابنُ أبي عَبْلة، والمُفضَّل وأبان عن عاصم، والحسن ويعقوب بخلافٍ عنهما: «لَوَوْا» بفتح الواو. وأبو جعفر، والأعمش، وطلحة، وعيسى، وأبو رجاء، والأعرج، وباقي السبعة بشدِّها للتكثير[٣].

ولَيُّ رؤوسهم على سبيل الاستهزاء[٤]، واستغفارُ الرسول لهم: هو استتابتُهم من النفاق فيستغفِرُ لهم[٥]؛ إذْ كان استغفارُهُ متسبِّباً عن استتابتهم، فيتوبون وهم يصدُّون عن المجيء واستغفار الرسول.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٦٥٧ عن بشير بن مسلم.

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٥.

(٣) السبعة ص ٦٣٦، والتيسير ص ٢١١، والنشر ٢/ ٣٨٨ من رواية روح عن يعقوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٤. والمشهور عن عاصم قراءة التشديد.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٩، وتفسير الطبري ٢٢/ ٦٥٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٧٤. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧ عن قتادة، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٥ عن الكلبي، والقرطبي ٢٠/ ٥٠٢ عن ابن عباس ﷺ.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧.

وقُرئ: «يصِدُّون»[١].

و«يَصُدُّون» جملة حالية، وأتَتْ بالمضارع ليدلَّ على استمرارهم، «وهم مستكبرون» جملة حالية أيضاً.

ولمَّا سبق في علمه تعالى أنَّهم لا يؤمنون البتة سَوَّى بين استغفاره لهم وعدمه[٢].

وحكى مكيٌّ[٣] أنَّه عليه الصلاة والسلام كان استغفرَ لهم لأنَّهم أظهروا له الإسلام. وقال ابن عباس: نزلت هذه بعد قوله تعالى في براءة [الآية:٨٠]: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «سوفَ أستغفِرُ لهم زيادةً على السبعين»[٤]، فنزلت هذه الآية، فلم يبقَ للاستغفار وجهٌ.

وقرأ الجمهور: «أستَغْفَرْتَ» بهمزةِ التسوية التي أصلُها همزة الاستفهام، وطرح ألفِ الوصل. وأبو جعفر بمَدَّةٍ على الهمزة[٥]. قيل: هي عِوَضٌ من همزة الوصل، وهي مثل المدَّة في قوله ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ [الأنعام:١٤٣] لكن هذه المدَّة في الاسم؛ لئلا يلتبس الاستفهامُ بالخبر، ولا يُحتاج ذلك في الفعل؛ لأنَّ همزة الوصل فيه مكسورة.

وعن أبي جعفر أيضاً ضَمُّ ميم «عليهمُ»؛ إذ أصلُها الضمُّ، ووصلُ الهمزة[٦].

وروى معاذ بن معاذ العنبري عن أبي عمرو كسر الميم على أصل التقاء

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٤، والكشاف ٤/ ١١٠.

(٣) في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٨٦.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠)، وأحمد (٤٦٨٠) من حديث ابن عمر ﵄.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤، وهي في النشر ٢/ ٣٨٨ عنه من رواية ابن وردان، لكن المشهور عنه كقراءة الجمهور.

(٦) أي: «عليهمُ اسْتَغْفَرْتَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٧، والمحتسب ٢/ ٣٢٢. والمشهور عن أبي جعفر كقراءة الجمهور.

الساكنين، ووصلِ الهمزة[١]، فتسقطُ في القراءتين. واللفظ خبرٌ، والمعنى على الاستفهام، والمرادُ التسوية، وجاز حذفُ الهمزة لدلالة «أم» عليها، كما دلَّت على حذفِها في قوله:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أمْ بثمانِ[٢]

يريد: أبسَبْعٍ.

وقال الزمخشري: وقرأ أبو جعفر: «آستغفَرْتَ» إشباعاً لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً، كما في ﴿آلسِّحْرُ﴾[٣] [يونس: ٨١]، و﴿ءَآللَّهُ﴾ [يونس: ٥٩].

وقال ابن عطية[٤]: وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: «آستَغْفَرْتَ» بمدَّةٍ على الهمزة، وهي ألف التسوية. وقرأ أيضاً بوصل الألف دون همز على الخبر.

وفي هذا كلِّه ضعفٌ؛ لأنَّه في الأُولى أثبتَ همزة الوصل وقد أغنَتْ عنها همزة الاستفهام، وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدُها، وهذا ممَّا لا يُستعمَلُ إلَّا في الشعر.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ إشارةٌ إلى ابن سَلول ومَنْ وافَقَه من قومه، سَفَّه أحلامَهم في أنَّهم ظنُّوا أنَّ رزقَ المهاجرين بأيديهم، وما علِموا أنَّ ذلك بيد الله تعالى.

﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إنْ كان الله تعالى حكى نصَّ كلامهم، فقولهم: ﴿مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ هو على سبيل الهُزْء، كقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، أو لكونه جرى عندهم مجرى اللَّقب،

---

(١) أي: «عليهمِ استَغْفَرْتَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٦ أيضاً. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٢) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٢٦٦، وصدره:

فواللهِ ما أدري وإنِّي لحاسبٌ

(٣) بالمدّ، وهي قراءة أبي عَمرو وأبي جعفر، وقرأ الباقون: ﴿ٱلسِّحۡرُ﴾، والكلام في الكشاف ٤/ ١١١.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.

أي: هو معروفٌ بإطلاق هذا اللفظ عليه؛ إذ لو كانوا مُقِرِّين برسالته ما صدر منهم ما صدر، فالظاهر أنَّهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللَّفظ، ولكنَّه تعالى عبَّر بذلك عن رسوله ﷺ؛ إكراماً له وإجلالاً.

وقرأ الجمهور: «يَنْفَضُّوا» أي: يتفرَّقوا عن الرسول. والفضل بن عيسى الرَّقاشي: «يُنْفِضوا» من أنفَضَ القومُ: فَنِيَ طعامُهم، فنفَضَ الرجلُ وعاءَه[1]. والفعل من باب ما تعدَّى بغير الهمزة، وبالهمزة لا يتعدَّى. قال الزمخشريُّ[2]: وحقيقتُه: حانَ لهم أن يَنْفُضوا مزاوِدَهم.

وقرأ الجمهور: «لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ» فـ «الأعزُّ» فاعل، و«الأذلّ» مفعول[3]. وهو من كلام ابن سلول كما تقدَّم. ويعني بالأعزِّ نفسَه وأصحابَه، وبالأذلِّ المؤمنين[4].

والحسن، وابن أبي عَبْلة، والمُسَيَّبي[5] في اختياره: «لَنُخْرِجَنَّ» بالنون ونصبِ «الأعزّ» و«الأذلّ»[6]، فـ «الأعزَّ» مفعول، و«الأذلّ» حال.

وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمر الداني: «لَنَخْرُجَنَّ» بنون الجماعة مفتوحةً وضمِّ الراء ونصبِ «الأعزّ» على الاختصاص، كما قال: نحنُ العرَبَ أقرى النَّاس للضَّيف. ونصب «الأذلَّ» على الحال، وحكى هذه القراءة أبو حاتم، وحكى الكسائيُّ والفرَّاء أنَّ قوماً قرؤوا: «لَيَخْرُجَنَّ» بالياء مفتوحةً وضمِّ الراء. فالفاعل «الأعز»، ونصب «الأذلّ» على الحال[7].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.
(٢) في الكشاف ٤/ ١١١.
(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٢.
(٤) الكشاف ٤/ ١١١.
(٥) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: والسبي، وفي (ع) إلى: السبتي. والمُسيَّبي: هو إسحاق بن محمد المخزومي، وهو من أصحاب نافع، وقد تقدم.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٧، والكشاف ٤/ ١١١ عن الحسن وابن أبي عبلة، وزاد المسير ٨/ ٢٧٧ عن الحسن، والكلام من الكشاف وزاد المسير. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٥.
(٧) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٠.

وقُرئ: «لَيُخْرَجَنَّ» مبنيًّا للمفعول وبالياء[١]، «الأعزُّ» مرفوعٌ به، «الأذلَّ» نصباً على الحال.

ومجيءُ الحال بصورة المعرفة متأوَّلٌ عند البصريين، فما كان منها بـ «أل» فعلى زيادتها لا أنَّها معرفة.

ولمَّا سمِعَ عبدُ الله ولدُ عبد الله بن أُبَيّ هذه الآية جاء إلى أبيه فقال: أنتَ واللهِ يا أبَتِ الذَّليلُ، ورسولُ الله ﷺ العزيزُ، فلمَّا دنا من المدينة جرَّدَ السيفَ عليه ومنَعَه الدخولَ حتى يأذن له رسول الله ﷺ، وكان فيما قال له: وراءَكَ لا تدخُلها حتى تقول: رسولُ الله ﷺ الأعَزُّ، وأنا الأذَلُّ. فلم يَزلْ حَبيساً في يدِه حتى أذِنَ له رسول الله ﷺ بتخلِيَتِه، وفي هذا الحديث أنَّه قال لأبيه: لئِنْ لم تَشْهد لله ولرسوله بالعزَّة، لأضرِبَنَّ عنُقَك. قال: أفاعِلٌ أنتَ؟ قال: نعم. فقال: أشهدُ أنَّ العزَّةَ لله ولرسوله وللمؤمنين[٢].

وقيل للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: زعم الناسُ أنَّ فيكَ تِيهاً. فقال: ليس بتيهٍ ولكنَّه عِزَّةٌ، وتلا هذه الآية[٣].

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ بالسَّعي في نمائها، والتلذُّذ بجَمْعِها ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ بسروركم بهم، وبالنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ هو عامٌّ في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء. قال نحواً منه الحسن وجماعة.

وقال الضحاك وعطاء: أكَّدَ هنا الصلاة المكتوبة[٤]. وقال الحسن أيضاً: جميع

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٠. وأخرجه بغير هذا السياق الطبري ٢٢/ ٦٦٩-٦٧٠ من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي. . . فذكره. وأخرجه ـ بغير هذا السياق أيضاً ـ ابن شبَّة في تاريخ المدينة ١/ ٣٦٦-٣٦٧ عن ابن سيرين مرسلاً.

(٣) الكشاف ٤/ ١١١، وما بعده منه بنحوه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥. وقول الضحاك أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٦٧٠-٦٧١. وقول عطاء في النكت والعيون ٦/ ١٨، وزاد المسير ٨/ ٢٧٧.

الفرائض[١]. وقال الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ[٢]. وقيل: القرآن[٣].

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: الشُّغل عن ذكر الله بالمال والولد ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ حيث آثروا العاجلَ على الآجلِ، والفانيَ على الباقي[٤].

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ قال الجمهور: المراد الزكاة. وقيل: عامٌّ في المفروض والمندوب[٥]. وعن ابن عباس: نزلت في مانعي الزكاة، واللهِ لو رأى خيراً ما سأل الرَّجعة. فقيل له: أما تتَّقي الله، يسأل المؤمنون الكرَّة؟ قال: نعم، أنا أقرأ عليكم به قرآناً. يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها[٦].

﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أي: هلَّا أخَّرْتَ موتي إلى زمان قليل[٧].

وقرأ الجمهور: «فأصَّدَّقَ»، وهو منصوبٌ على جواب الرغبة. وأبيٌّ، وعبد الله، وابن جُبير: «فأتصدَّق» على الأصل[٨].

وقرأ جمهور السبعة: «وأكُنْ» مجزوماً، قال الزمخشري[٩]: عطفاً على محلِّ «فأصَّدَّقَ»، كأنَّه قيل: إنْ أخَّرتني أصَّدَّقْ وأكُنْ.

وقال ابن عطية[١٠]: عطفاً على الموضع؛ لأنَّ التقدير: إنْ تؤخِّرْني أصَّدَّقْ

---

(١) الكشاف ٤/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٦.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٨، والكشاف ٤/ ١١١.
(٣) الكشاف ٤/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٦.
(٤) الكشاف ٤/ ١١١ بنحوه.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١١١-١١٢. وأخرجه بنحوه الترمذي (٣٣١٦).
(٧) الكشاف ٤/ ١١٢.
(٨) القراءات الشاذة ص ١٥٧ عن سعيد بن جبير، والكشاف ٤/ ١١٢ عن أبيٍّ ﷺ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦ عن أبي وابن مسعود ﷺ. وعند قوله: وعبد الله، ينتهي السقط من (د٣).
(٩) في الكشاف ٤/ ١١٢.
(١٠) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥-٣١٦.

وأكُنْ، هذا مذهب أبي علي الفارسي[١]، فأمَّا ما حكاه سيبويه[٢] عن الخليل فهو غيرُ هذا، وهو أنَّه جزَمَ «وأكُنْ» على توهُّم الشرط الذي يدلُّ عليه التمنِّي، ولا موضعَ هنا؛ لأنَّ الشرطَ ليس بظاهر، وإنَّما يُعطَفُ على الموضع حيث يظهر الشَّرط، كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٦]، فمن قرأ بالجزم عطفَ على موضع «فلا هاديَ له»؛ لأنَّه لو وقع هنالك فعلٌ كان مجزوماً. انتهى.

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهُّم أنَّ العاملَ في العطف على الموضع موجودٌ دون مؤثِّره، والعاملَ في العطف على التوهُّم مفقودٌ وأثَرُه موجود.

وقرأ الحسن، وابن جُبير، وأبو رجاء، وابن أبي إسحاق، ومالك بن دينار، والأعمش، وابن مُحَيْصِن، وعبيد الله[٣] بن الحسن العنبري، وأبو عمرو: «وأكونَ» بالنصب عطفاً على «فأصَّدَّقَ». وكذا في مصحف عبد الله وأُبيٍّ[٤].

وقرأ عُبيد بن عُمير: «وأكونُ» بضمِّ النون على الاستئناف، أي: وأنا أكونُ، وهو وعدٌ بالصَّلاح[٥].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذاراً أن يجيء الأجلُ وقد فرَّط ولم يستعِدَّ للقاء الله[٦].

---

(١) في الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٩٣. وهو مذهب الزجَّاج في معاني القرآن له ٥/ ١٧٨.
(٢) في الكتاب ٣/ ١٠٠.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: عبد الله، والمثبت من (يه)، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦ والكلام منه. وعبيد الله بن الحسن العنبري: هو قاضي البصرة، قال ابن حبان: من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً. وهو القائل: لأنْ أكون ذَنَباً في الحقِّ أحَبُّ إليَّ من أكونَ رأساً في الباطل. توفي سنة (١٦٨هـ). تهذيب التهذيب ٣/ ٧.
(٤) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٦٣٧، والتيسير ص ٢١١. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٦-٤٣٧.
(٥) الكشاف ٤/ ١١٢.
(٦) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦.

وقرأ الجمهور: «تعملون» بتاء الخطاب للناس كلِّهم. وأبو بكر بالياء[١]. خصَّ الكفار بالوعيد، ويحتمل العموم[٢].

(١) السبعة ص ٦٣٧، والتيسير ص ٢١١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣١٦.

(٦٣) سورة المنافقون مدنية
وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين، أنهم إنما يتفوهون بالإسلام ظاهراً فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾. ثم قال تعالى: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ أي فيما أخبروا به لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه، ولهذا كذّبهم بالنسبة إلى اعتقادهم، وقوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى: ﴿فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾، وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا، ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، ﴿فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى، ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي. وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ أي وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في

غاية الضعف والخور والهلع والجزع، ولهذا قال تعالى: ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ أي كلما وقع أمر أو خوف، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، كما قال تعالى: ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني، ولهذا قال تعالى: ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال، ، وفي الحديث: « إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبة، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل، صُخب بالنهار »[1] .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿ إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ﴾ أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ورأيتهم يصدّون وهم مستكبرون ﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ . عن سفيان ﴿ لوّوا رؤوسهم ﴾ حوّل سفيان وجهه على يمينه، ونظر بعينه شزراً، ثم قال: هو هذا[2] ، وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في (عبدالله بن أبي بن سلول) كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى . قال قتادة والسدي: أنزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي ، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله ﷺ ، فجعل يلوي رأسه ، أي لست فاعلاً .

وقال أبو إسحاق في قصة بني المصطلق : فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء (جهجاه بن سعيد الغفاري) وكان أجيراً لعمر بن الخطاب و (سنان بن يزيد)، فقال سنان: يا معشر الأنصار ، وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند (عبدالله بن أُبي) فلما سمعها قال : قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سّمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال يزيد بن مرة : سُخُب بالنهار أي بالسين .

(٢) رواه عنه ابن أبي حاتم .

الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من عنده من قومه، وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها (زيد بن أرقم) رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ، وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخبره الخبر، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله ! مر عباد بن بشر فليضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: « فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، لا، ولكن ناد يا عمر: الرحيل »، فلما بلغ عبدالله بن أُبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال، ما قال عليه (زيد بن أرقم) وكان عند قومه بمكان، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل، وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه (أسيد بن الحضير) رضي الله عنه، فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة مبكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أُبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل »، قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل، ثم قال: ارفق به يا رسول الله، فوالله لقد جاء الله بك، وإنا لننظم له الخرز لنتوجه، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين، وقال الحافظ أبو بكر البيهقي، عن جابر بن عبدالله يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجُلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة »، وقال (عبدالله بن أُبي بن سلول) وقد فعلوها: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال جابر: وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ، ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »[1]. وروى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبدالله ابن أُبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال، فحلف عبدالله ابن أُبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذا ؟ قال، فانطلقت فنمت كئيباً حزيناً، قال، فأرسل إليَّ نبي الله ﷺ فقال: « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك »، قال، فنزلت هذه الآية: ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ حتى بلغ ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾[2].

طريق أخرى: قال الإمام أحمد رحمه الله، عن زيد بن أرقم قال: خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبدالله بن أُبي بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ فحدثته، فأرسل إلى عبدالله بن أُبي بن سلول وأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، فكذّبني رسول الله ﷺ وصدَّقه، فأصابني همّ لم

---

(١) رواه البيهقي، ورواه أحمد والبخاري ومسلم بنحوه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ورواه البخاري عند هذه الآية.

يصبني مثله قط، وجلست في البيت، فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك! قال، حتى أنزل الله: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾، قال، فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ عليَّ، ثم قال: «إن الله قد صدقك»[1]. وقال محمد بن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبدالله بن عبدالله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني بـه، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لهـا من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبي يمشي في النـاس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»[2]، وذكر عكرمة أن النـاس لمـا قفلوا راجعين إلى المدينة وقف (عبدالله بن عبدالله) على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه (عبدالله بن أُبي) قال له ابنه: وراءك، فقال: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء رسول الله ﷺ شكا إليه عبدالله بن أُبي ابنه، فقال ابنه عبدالله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال: أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن، وقال الحميدي في مسنده: قال عبدالله بن عبدالله بن أُبي بن سلول لأبيه: «والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل، قال: وجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي، فوالذي بعثك بالحق لئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك، فإني أكره أن أرى قاتل أبي[3].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عن طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾، فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات، كما قال تعالى: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾، وقال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعونِ * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾، ثم قال تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد.

(٢) رواه محمد بن إسحاق بن يسار

(٣) رواه الحميدي في مسنده.

أي لا ينظر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله، ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ . روى الترمذي، عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ إلى قوله ﴿والله خبير بما تعملون﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير[1] . وروى ابن أبي حاتم، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له، فيلحقه دعاؤهم في قبره»[2]

[آخر تفسير سورة المنافقين، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة]

* * *

(١) أخرجه الترمذي عن الضحّاك عن ابن عباس، قال ابن كثير: ورواية الضحّاك عن ابن عباس فيها انقطاع.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء.

تفسير سورة المنافقون

وهى مدنية [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ③ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④ ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين : أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاؤوا النبى ﷺ ، فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك ، بل على الضدّ من ذلك ؛ ولهذا قال تعالى : **﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾** أى : إذا حَضَروا عندك [٢] واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون: ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال : **﴿ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾** .

ثم قال : **﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾** أى : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

وقوله : **﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾** أى : اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحَلْفات الآثمة ، ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون [٣] ، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون ، وهم من [٤] شأنهم إنهم كانوا [٥] فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبَلا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير [٦] على كثير من الناس . ولهذا قال تعالى : **﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** . ولهذا كان الضحاك بن مُزَاحم يقرؤها : « اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً » أى : تصديقهم الظاهر جُنَّة ، أى : تقية يتقون به القتل . والجمهور يقرؤها [٧] : **﴿ أَيْمَانَهُمْ ﴾** جميع يمين .

[وقوله] [٨] : **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾** أى : إنما قُدّر عليهم

---

(١) فضائل هذه السورة ذكرت فى أول سورة الجمعة .
(٢) فى أ : « إليك ». (٣) فى أ : « فاعتقدهم مسلمين » . (٤) فى م : « فى » .
(٥) فى أ : « كانوا يقولون » . (٦) فى أ : « كثير » . (٧) فى م،أ : « قرؤوها » .
(٨) زيادة من م ، أ .

النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ أى: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعى ولا تهتدى .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ أى : كانوا أشكالاً حسنة وذوى فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم [1] لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخَوَر والهلع والجزع والجبن ؛ ولهذا قال : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أى : كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف ، يعتقدون ، لجبنهم ، أنه نازل بهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٩] ، فهم جَهَامات وصور بلا معانى . ولهذا قال : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أى : كيف يُصرَفون عن الهدى إلى الضلال .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قُدامة الجُمَحى ، عن إسحاق بن بكر [2] بن أبى الفرات ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى. عن أبيه ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه، عن النبىﷺ قال: « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نُهبَة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلا هُجْرا ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرا ، مستكبرين لا يألَفون ولا يُؤلَفون ، خُشُبٌ بالليل، صُخُب بالنهار » .وقال يزيد مرةً : سُخُبٌ بالنهار [3] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين ــ عليهم لعائن الله ــ أنهم ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ أى : صَدوا وأعرضوا عما قيل لهم ، استكباراً عن ذلك ، واحتقارا لما قيل لهم. ولهذا قال : ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ . ثم جازاهم على ذلك فقال : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، كما قال فى سورة «براءة »، وقد تقدم الكلام عن ذلك ، وإيراد الأحاديث المروية هنالك .

(١) فى م :« إلى قلوبهم » . (٢) فى أ :« بكير » .
(٣) المسند (٢/ ٢٩٣) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابنُ أبى عُمَر العَدَنى (١) قال : قال سفيان ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ : قال ابن أبى عمر : حولَ سفيان وجهه على يمينه ، ونظر بعينه شزْرا ، ثم قال : هم(٢) هذا .

وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول ، كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قال محمد بن إسحاق فى السيرة : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ـ يعنى مَرْجِعَه من أحد ـ وكان عبد الله بن أبى ابن سلول ـ كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ـ له مقام يَقُومه كل جُمُعة لا يُنكر، شَرَفاً له من نفسه ومن قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام ، فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزكم به ، فانصروه وعَزّروه ،واسمعوا له وأطيعوا . ثم جلس ،حتى إذا صَنَع يوم أحُد ما صنع ـ يعنى مرجعه بثلث الجيش ـ ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعتَ ما صنعتَ . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بَجْراً ؛ أن قُمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك . ما لك ؟ قال : قمتُ أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت بَجْراً ، أن قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك . ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . فقال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى (٣) .

وقال قتادة والسدى : أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعَذَموه (٤) ، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو (٥) الله : لو أتيت رسول الله ﷺ ؟ فجعل يلوى رأسه ، أى : لست فاعلا (٦).

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير : أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه ، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أنَ عبدَ الله بن أبى ابن سلول قال : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ . فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله بن أبى : ائت النبى ﷺ حتى يستغفر لك . فأنزل الله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان فى غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ؛ فإنَ عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المُرَيسيع ، وهى غزوة بنى المصطلق .

---

(١) فى أ : « العدوى » .
(٢) فى م ، أ : « هو » .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٥) .
(٤) فى م: « وعزلوه » ، وفى أ : « وعرموه » .
(٥) فى م ، أ : « وقيل لعبد » .
(٦) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٧١) .

قال يونس بن بُكَيْر ، عن ابن إسحاق : حدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عُمَر بن قتادة ، فى قصة بنى المصطلق : فبينا رسول الله مقيم هناك ، اقتتل على الماء جَهجاه بن سعيد الغفارى ــ وكان أجيرا ــ لعمر بن الخطاب ، وسنان بن وَبْر [١] قال ابن اسحاق: فحدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان قال : ازدحما على الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار. وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين ــ وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبى ــ فلما سمعها قال : قد ثاوَرُونا فى بلادنا . والله ما مثلُنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : «سَمن كلبك يأكلك » . والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها . فسمعها زيد بن الأرقم ، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غُلَيِّمٌ ــ وعنده بن الخطاب رضى الله عنه ــ فأخبره الخبر ، فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله مرُ عَبَّاد بن بِشْر [٢] فليضرب عنقه . فقال ﷺ : « فكيف إذا تحدث الناس ــ يا عمر ــ أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ناد يا عمر فى الرحيل » .

فلما بلغ عبدَ الله بن أبى أن ذلك قد بلغ رسولَ الله ﷺ ، أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم ــ وكان عند قومه بمكان ــ فقالوا : يا رسول الله ، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله ﷺ مُهجَراً فى ساعة كان لا يروح فيها ، فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة ، ثم قال : والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكَرَةَ ما كنت تروح فيها . فقال رسول الله ﷺ : « أما بلغك [٣] ما قال صاحبك ابن أبى ؟ . زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل » . قال : فأنت ــ يا رسول الله ــ العزيزُ وهو الذليل . ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الْخرزَ لِنُتَوِّجه ، فإنه ليرى [٤] أن قد استلبتَه ملكا .

فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا ، وليلته حتى أصبحوا ، وصَدرَ يومه حتى اشتد الضحى. ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مَس الأرض فناموا ، ونزلت سورة المنافقين [٥] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا الحُمَيدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا [٦] عمرو بن دينار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ فى غَزَاة فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصارى : ياللأنصار . وقال المهاجرى : يا للمهاجرين . فقال رسول الله ﷺ : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة » . وقال عبد الله بن أبى ابن سلول ــ وقد فعلوها ــ : والله لئن رجعنا

---

(١) فى م : « سنان بن يزيد » . (٢) فى أ : « بشير » . (٣) فى م : « ما بلغك » .
(٤) فى م : « يرى » .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٩٠ ـ٢٩٢) .
(٦) فى م :« عن » .

إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبى ﷺ : « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » (١) .

ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزى ، عن سفيان بن عيينة (٢) . ورواه البخارى عن الحميدى ، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره ، عن سفيان ، به نحوه (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن زيد بن أرقم قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فقال عبد الله بن أبى : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأتيت النبى (٤) ﷺ فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبى أنه لم يكن شىء من ذلك . قال : فلامنى قومى وقالوا : ما أردتَ إلى هذا؟ قال : فانطلقت فنمتُ كئيبا حزينا ، قال : فأرسل إلى نبى الله ﷺ فقال : « إن الله قد أنزل عُذركَ وصدّقك » . قال : فنزلت هذه الآية ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا** ﴾ حتى بلغ : ﴿ **لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ** ﴾ .

ورواه البخارى عند هذه الآية ، عن آدم بن أبى إياس ، عن شعبة (٥) ، ثم قال : « وقال ابن أبى زائدة ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبى ليلى ، عن زيد ، عن النبى ﷺ ورواه الترمذى والنسائى عندها أيضا من حديث شعبة ، به (٦) .

طريق أخرى عن زيد : قال الإمام أحمد ، رحمه الله ، حدثنا يحيى بن آدم ، ويحيى بن أبى بُكَير (٧) قال: حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم ــ وقال ابن أبى بُكَير (٨) : عن زيد بن أرقم ــ قال : خرجت مع عمى فى غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمى ، فذكره عمى لرسول الله ﷺ فأرسل إلىَّ رسولُ الله ﷺ فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه فحلفوا ما قالوا : فكَذبنى رسول الله ﷺ وصَدَقه ، فأصابنى هَمٌ لم يصبنى مثله قط ، وجلست فى البيت ، فقال عمى : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك. قال: حتى أنزل الله : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ** ﴾ قال : فبعث إلىَّ رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله على ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » (٩) .

ثم قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق : أنه سمع زيد

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٥٣) .
(٢) المسند (٣/ ٣٩٢) .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٧) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٤) .
(٤) فى م :« رسول الله » .
(٥) المسند (٤/ ٣٦٨) وصحيح البخارى برقم (٤٩٠٢) .
(٦) سنن الترمذى برقم (٣٣١٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩٤) .
(٧) فى أ : « بكر » .
(٨) فى م : « وقال أبو بكر » .
(٩) المسند (٤/ ٣٧٣) .

ابن أرقم يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، فأصاب الناس شدةٌ ، فقال عبد الله بن أبى لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله . وقال : ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأتيت النبى ﷺ فأخبرته بذلك ، فأرسل إلى عبد الله بن أبى فسأله ، فاجتهد يمينَه ما فعل . فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع فى نفسى ما قالوا ، حتى أنزل الله تصديقى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ** ﴾ . قال : ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم ، فلووا رؤوسهم . وقوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ** ﴾ قال : كانوا رجالا أجمل شىء .

وقد رواه البخارى ومسلم والنسائى ، من حديث زهير (١) . ورواه البخارى أيضا والترمذى من حديث إسرائيل ، كلاهما عن عن أبى إسحاق عمرو (٢) بن عبد الله السَّبِيعىّ الهمدانى الكوفى ، عن زيد ، به (٣) .

طريق أخرى عن زيد : قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى سعد (٤) الأزدى قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نَبتَدرُ الماء ، وكان الأعراب يسبقوننا يسبق الأعرابى أصحابه يملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النّطع عليه حتى يجىء أصحابه . قال : فأتى رجل من الأنصار الأعرابى ، فأرخى زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه ، فانتزع حجراً ففاض الماء ، فرفع الأعرابى خشبة ، فضرب بها رأس الأنصارى فشجّه ، فأتى عبدَ الله ابن أبىّ رأسَ المنافقين فأخبره ــ وكان من أصحابه ــ فغضب عبد الله بن أبى ، ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ــ يعنى الأعراب ــ وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام . فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل . قال زيد : وأنا ردْف عَمّى ، فسمعتُ عبد الله فأخبرت عَمّى ، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ، فحلف وجَحَد ، قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى ، فجاء إلى عمى فقال : ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبكَ والمسلمون . فوقع على من الغم ما لم يقع على أحد قط ، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر وقد خَفَقْتُ برأسى من الهم ، إذ أتانى رسول الله ﷺ فَعَرَكَ أذنى ، وضحك فى وجهى ، فما كان يسرنى أن لى بها الخلد فى الدنيا ، ثم إن أبا بكر لحقنى وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ قلت : ما قال لى رسول الله شيئاً ، غير أن عرك أذنى وضحك فى وجهى. فقال : أبشر . ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر . فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين .

انفرد بإخراجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقى عن

---

(١) المسند (٤/٣٧٣) وصحيح البخارى برقم (٤٩٠٣) وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩٨) .

(٢) فى أ : « عن أبى إسحاق عن عمرو » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٠) وسنن الترمذى برقم (٣٣١٢)

(٤) فى م: « عن أبى سعيد » .

الحاكم عن أبى العباس محمدين أحمد المحبوبى ، عن سعيد بن مسعود ، عن عبيد الله بن موسى ، به (١). وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ﴾ حتى بلغ : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ حتى بلغ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ .

وقد روى عبد الله بن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروَةَ بن الزبير فى المغازى ــ وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذى بَلَّغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أبىّ ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم ، من بنى الحارث بن الخزرج. فلعله مبلغ آخر ، أو تصحيف من جهة السمع ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبى حاتم ، رحمه الله : حدثنا محمد بن عزيز الأيلى ، حدثنى سلامة ، حدثنى عقيل ، أخبرنى محمد بن مسلم ، أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصارى أخبراه : أن رسول الله ﷺ غزا عزوة المريسيع ، وهى التى هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التى كانت بين قفا المُشَلَّل وبين البحر ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان فى غزوة رسول الله ﷺ تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من بَهْز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى ، فقال البهزى : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجرى : يا معشر المهاجرين . فنصره رجال من المهاجرين ، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافق ــ أو : رجل فى قلبه مرض ــ إلى عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرْجَى وتَدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب ــ وكانوا يَدعُون كُلّ حديث هجرة (٢) : الجلابيب ــ فقال عبد الله بن أبى عدو الله : [والله] (٣) لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .قال مالك بن الدخْشُم ــ وكان من المنافقين ــ : أولم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . فسمع بذلك عمرُ بن الخطاب ، فأقبل يمشى حتى جاء (٤) رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس ، أضربُ عنقه ــ يريد عمرُ عبدَ الله بن أبى ــ فقال رسول الله ﷺ لعمر : « أو قاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » . قال : عمر [نعم](٥) والله لئن أمرتنى بقتله لأضربَنّ عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « اجلس » . فأقبل أسيدُ بن الحضير (٦) ــ وهو أحد الأنصار، ثم أحد بنى عبد الأشهل ــ حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس [حتى] (٧) أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « أوقاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » . قال : نعم ، والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن بالسيف تحت قُرط أذنيه . فقال رسول الله ﷺ : « اجلس » . ثم قال رسول الله ﷺ : « آذنوا بالرحيل » . فَهَجَّرَ بالناس ، فسار

(١) سنن الترمذى برقم (٣٣١٣) ودلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٥٤) .
(٢) فى م :«أهجرة » . (٣) زيادة من م . (٤) فى أ : « حتى أتى » .
(٥) زيادة من م ، أ . (٦) فى م: « حضير » . (٧) زيادة من م .

يومه وليلته والغد حتى مَتَعَ النهار ، ثم نزل . ثم هَجَّر بالناس مثلها ، فَصبح [١] بالمدينة فى ثلاث سارها من قفا المُشَلَّل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : «أىْ عمر ، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال [٢] عمر : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : « والله لو قتلته يومئذ لأرغمتَ أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتثلوه [٣] فيتحدث الناسُ أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبراً » . وأنزل الله عز وجل : ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾ إلى قوله : ﴿ **لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ** [**لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ**] [٤] ﴾ الآية .

وهذا سياق غريب ، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار : حدثنى عاصم بن عُمَر بن قتادة : أن عَبدَ الله بن أبى ـ يعنى لما بلغه ما كان من أمر أبيه ـ أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبَىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقى معنا » [٥] .

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة ، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا على باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ؟ ويلك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذنَ لك رسول الله ﷺ ، فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله ﷺ ـ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبدُ الله بن أبىّ ابنه ، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فَجُز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير فى مسنده : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، حدثنا أبو هارون المدنى قال: قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول : رسولُ الله ﷺ الأعز وأنا الأذل . قال وجاء النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد أن تقتل أبى ، فو الذى بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك ، فإنى أكره أن أرى قاتل أبى [٦] .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا**

(١) فى م : « حتى صبح » .
(٢) فى م : « فقال » .
(٣) فى م : « لقتلوه » .
(٤) زيادة من م ، أ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٩٢) .
(٦) مسند الحميدى (٢/ ٥٢٠) .

جاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ .

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبراً لهم بأنه من التَّلهِّى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ثم حثهم على الإنفاق فى طاعته فقال : ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ ، فكل مُفَرِّط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ، يستعتب ويستدرك ما فاته ، وهيهات ! كان ما كان ، وأتى ما هو آت ، وكل بحسب تفريطه ، أما الكفار فكما قال [الله] (١) تعالى: ﴿ **وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ** ﴾ [إبراهيم: ٤٤] . وقال تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠] .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ أى : لا ينظر أحداً بعد حلول أجله ، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً فى قوله وسؤاله ممن لو رُدَّ لعاد إلى شر مما كان عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ .

وقال أبو عيسى الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو جَنَاب الكلبى ، عن الضحاك بن مُزاحم ، عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاةٌ ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا ابن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآناً : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ [وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا]** (٢) **وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير .

ثم قال : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن يحيى بن أبى حَيَّة ــ وهو أبو جناب الكلبى ــ عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ ، بنحوه (٣) .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبى جَنَاب ، عن ابن الضحاك ، عن ابن عباس، من قوله . وهو أصح ، وضعَّف أبا جناب الكلبى .

---

(١) زيادة من أ .

(٢)زيادة من م ،وفى هـ : « إلى قوله » .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣١٦).

قلت : رواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن نُفَيل ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة الجهنى ، عن عمه ـ يعنى أبا مشجعة بن رِبْعِى ـ عن أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال : « إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبدَ ذُرية صالحة يدعون له ، فليحقه دعاؤهم فى قبره » (1) .

آخر تفسير سورة « المنافقون » (2) ، ولله الحمد والمنة

(١) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ٢٨٥) من طريق الوليد بن عبد الملك، عن سليمان بن عطاء به وسليمان بن عطاء مجمع على ضعفه.

(٢) فى أ :« المنافقين » .

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين : إنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك ، بل علىٰ الضدّ من ذلك ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله** ﴾ ، أي : إذا حَضَروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون ؛ ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال : ﴿ **والله يعلم إنك لرسوله** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ ، أي : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقًا للخارج ، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلىٰ اعتقادهم .

وقوله : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي : اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحَلَفَات[١] الآثمة ، ليصدقوا فيما يقولون [فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فربما اقتدىٰ بهم فيما يفعلون][٢] وصدقهم فيما يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالًا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير علىٰ كثير من الناس ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ ؛ و[لهذا][٣] كان الضحاك بن مُزاحم يقرؤها : (**اتخذوا إِيمانهم جنة**) ، أي : تصديقهم الظاهر

[١] - في خ : الحلفان .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .

جُنَّة ، أي : تقية يتقون به القتل . والجمهور يقرؤها : ﴿ أيمانهم ﴾ جمع يمين .

﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ ، [أي : إنما قُدّر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلىٰ الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدىٰ ﴿ فطبع اللّه علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾][1] أي : فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعي ولا تهتدي .

﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ ، أي : كانوا أشكالًا حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغي إلىٰ قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخَور والهلع والجزع والجبن ، ولهذا قال : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ ، أي : كلما وقع أمر[2] أو كائنة أو خوف ، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة علىٰ الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط اللّه أعمالهم وكان ذلك علىٰ اللّه يسيرًا ﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني . ولهذا قال : ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللّه أنىٰ يؤفكون ﴾ ، أي : كيف يُصرفون عن الهدىٰ إلىٰ الضلال .

وقد قال الإمام أحمد(١) : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجُمَحي ، عن إسحاق ابن بكر بن أبي الفرات ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ قال : « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نُهبَة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلَّا هُجرًا ، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْرًا مستكبرين لا يألفون ولا يُؤلفون خشب بالليل ، صُخُب بالنهار » . وقال يزيد مَرة : « سُخُبٌ بالنهار » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) المسند (٢/٢٩٣) (٧٩١٣) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١/١١٢) : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك ابن قدامة الجمحي وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

[١] - سقط من ز ، خ . [٢] - في ز : أمرًا .

وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المنافقين - عليهم لعائن الله -: إنهم ﴿ **إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رءوسهم** ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك، واحتقارًا لما قيل لهم. ولهذا قال: ﴿ **ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** ﴾. ثم جازاهم علىٰ ذلك فقال: ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾. كما قال في سورة « براءة » وقد تقدم الكلام على ذلك، وإيراد الأحاديث المروية هنالك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابنُ أبي عُمر العَدَني؛ قال: قال سفيان: ﴿ **لوّوا رءوسهم** ﴾، قال ابن أبي عمر: حوّلَ سفيان وجهه علىٰ يمينه، ونظر بعينيه[١] شزْرًا، ثم قال: هُمْ هذا.

وقد ذكر غير واحد من السلف؛ أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبيّ بن سلول، كما سنورده قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقة وعليه التكلان.

وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة(٢): ولما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة[٢] - يعني مَرْجِعَه من أحد - وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري - له مقام يقُومه كل جُمعَة لا ينكر، شَرَفًا له من نفسه ومن قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام، فقال: أيها[٣] الناس، هذا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزّكم به، فانصروه وعَزروه، واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس، حتىٰ إذا صَنَع يوم أحد ما صنع - يعني مرجعه بثلث الجيش - ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أيْ عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعتَ ما صنعتَ. فخرج يتخطىٰ رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا، أن[٤] قُمت أشدّد أمره. فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك، مالك؟ قال: [قمتُ أشدّد][٥] أمره، فوثب عليّ

---

(٢) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٦١٨ - ٦١٩).

---

[١] - في ت: بعينه.

[٢] - سقط من خ.

[٣] - في ز: يا أيها.

[٤] - في ز: الآن.

[٥] - في ز، خ: قمنا نشد.

رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت بَجْرًا ، أن[١] قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقال : واللّٰه ما أبتغي أن يستغفر لي .

وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد اللّٰه بن أُبيّ ، وذلك أن غلامًا من قرابته انطلق إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فإذا هو يحلف باللّٰه ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار علىٰ ذلك الغلام فلاموه وعَذَموه ، وأنزل اللّٰه فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو اللّٰه : لو أتيت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فجعل يلوي رأسه ، أي : لست فاعلًا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير ؛ أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان إذا نزل منزلًا لم يرتحل حتىٰ يصلي فيه ، فلما كانت غزوة تبوك ، بلغه أن عبد اللّٰه بن أبيّ بن سلول ؛ قال : ﴿ **ليخرجَنّ الأعز منها الأذل** ﴾ . فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد اللّٰه بن أبيّ : إيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حتىٰ يستغفر لك . فأنزل اللّٰه : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللّٰه لووا رءوسهم** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك - فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فإنّ عبد اللّٰه بن أبيّ بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش ، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان[٢] في غزوة المُرَيسيع ، وهي غزوة بني المصطلق :

قال يونس بن بكير عن ابن[٣] إسحاق(٣) : حدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ، وعبد اللّٰه ابن أبي بكر ، وعاصم بن عُمَر بن قتادة ، في قصة بني المصطلق ، فبينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مقيم هناك ، اقتتل علىٰ الماء جَهجاه بن سعيد الغفاري[٤] وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب - وسنان بن وبر[٥] . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيىٰ بن حَبّان ؛ قال : ازدحما علىٰ الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار . وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد اللّٰه بن أبيّ - فلما سمعها قال : قد

---

(٣) - السيرة النبوية (٣/٧٥٨ - ٧٦٠) . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٤/٥٢ - ٥٣) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن يحيى .

---

[١] - في خ : الآن .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : أبي .

[٤] - في ز ، خ : المعافري .

[٥] - في ز ، خ : يزيد .

ثاوَرُونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها. فسمعها زيد بن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غُلَيِّم و[١] عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله مُر عَبّاد بن بِشْر فليضرب عنقه. فقال صلى الله عليه وسلم: « فكيف إذا تحدّث الناس يا عمر أن محمدًا يقتل أصحابه؟ لا، ولكن ناد يا عمر في الرحيل ».

فلما بلغ عبدَ الله بن أبيّ أن ذلك قد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا: يا رسول الله، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهَجِّرًا في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير، فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة مُنكَرَة ما كنت تروح فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبيّ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل ». قال: فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل. ثم قال: يا[٢] رسول الله، ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرزَ لنتوّجه، فإنه ليرى أن[٣] قد [استلبتَه ملكًا][٤].

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس[٥] حتى أمسوا، وليلته حتى أصبحوا، وصَدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسّ الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين.

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٤): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا بشر بن موسى، حدثنا الحُمَيدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، سمعت جابر ابن عبد الله؛ يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [في غزاة][٦] فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة ». وقال

---

(٤) - دلائل النبوة (٥٣/٤ - ٥٤).

---

[١] - في خ: وهو.
[٢] - سقط من خ.
[٣] - سقط من ز.
[٤] - في خ: استلبسته.
[٥] - سقط من خ.
[٦] - في خ: فمر عروة.

عبد اللّه بن أبيّ ابن سلول : وقد فعلوها ، واللّه لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثرَ من المهاجرين حين قدم رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه » .

ورواه الإمام أحمد(٥) ، عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة . ورواه البخاري ، عن الحميدي ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وغيره عن سفيان ، به نحوه.

وقال الإِمام أحمد(٦) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظي ، عن زيد بن أرقم؛ قال : كنت مع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم في غزوة تبوك ، فقال عبد اللّه بن أبيّ : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأتيت النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم فأخبرته ، قال : فحلف عبد اللّه بن أبيّ أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردتَ إلىٰ هذا ؟ قال : فانطلقت فنمتُ كئيبًا حزينًا ، قال : فأرسل إليّ نبي اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم؛ فقال : « إنَّ اللّه قد أنزل عُذرك وصَدّقك » . قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول اللّه حتىٰ ينفضوا** ﴾ حتىٰ بلغ : ﴿ **لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ .

ورواه البخاري عند هذه الآية ، عن آدم بن أبي إياس ، عن شعبة ، ثم قال : وقال ابن أبي زائدة ، غن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن زيد ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم.

[ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضًا من حديث شعبة به][١] .

(طريقٍ أخرىٰ) عن زيد ، قال الإِمام أحمد(٧) رحمه اللّه : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، ويحيىٰ ابن أبي بُكير[٢] ، قالا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت زيد بن أرقم ، وقال [ابن أبي بكير[٣]][٤] عن زيد بن أرقم؛ قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد اللّه

(٥) - المسند (٣/٣٩٢ - ٣٩٣) (١٥٢٦٥) . والبخاري في كتاب التفسير ، باب (٧) ، حديث (٤٩٠٧) (٨/٦٥٢) . ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب : نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا ، حديث (٦٢ - ٢٥٨٤/٦٤) (١٦/٢٠٧ - ٢٠٩) .

(٦) - أخرجه أحمد (٤/٣٦٨ - ٣٦٩) (١٩٣٤٠) . والبخاري في التفسير ، باب : ﴿ **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ....** ﴾ ، حديث (٤٩٠١) (٨/٦٤٦) .

(٧) - المسند (٤/٣٧٣) (١٩٣٨٨) .

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز ، خ : بكر .

[٣] - في خ : بكر .

[٤] - ما بين المعكوفين في ز : أبو بكر .

ابن أبيّ [ابن سلول][١] يقول لأصحابه : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فحدثته ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ بن سلول وأصحابه[٢] فحلفوا ما قالوا ، فكذّبني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وصَدّقه ، فأصابني هَمّ لم يصبني مثله قط ، وجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومقتك . قال : حتىٰ أنزل الله : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ ، قال : فبعث إليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقرأها رسول الله عليّ[٤] ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » .

ثم قال أحمد(٨) أيضًا : حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ؛ أنه سمع زيد بن أرقم ؛ يقول : خرجنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر ، فأصاب الناس شدةٌ ، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه[٥] : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله ، وقال : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته بذلك ، فأرسل إلىٰ عبد الله بن أبيّ فسأله ، فاجتهد يمينَه ما فعل ، فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع في نفسي مما قالوا ، حتىٰ أنزل الله تصديقي : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾ . قال : ودعاهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليستغفر لهم ، فلووا رءوسهم . وقوله تعالىٰ : ﴿ **كأنهم خشب مسندة** ﴾ ، قال : كانوا رجالًا أجمل شيء .

وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث زهير .

ورواه البخاري(٩) أيضًا والترمذي من حديث إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعيّ الهَمْداني الكوفي ، عن زيد به .

(طريق أخرىٰ) عن زيد ، قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٠) : حدثنا عبد بن حُميد ، حدثنا عبيد

(٨) - المسند (٣٧٣/٤) (١٩٣٨٩) . وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ...** ﴾ ، حديث (٤٩٠٣) (٦٤٧/٨) . ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث (٢٧٧٢/١) (١٧٦/١٧ - ١٧٧) والنسائي في الكبرى كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل** ﴾ ، حديث (١١٥٩٨) (٤٩٢/٦) .

(٩) - وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : اتخذوا أيمانهم جنة يجتنون بها ، حديث (٤٩٠١) . والترمذي في ك « التفسير » ، باب : « ومن سورة المنافقين » ، حديث (٣٣٠٩) (٥٠/٩) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(١٠) - أخرجه الترمذي في الموضع السابق (٣٣١٠) (٥٠/٩ - ٥٢) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يكذبك .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .

الله بن موسىٰ ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي سعد[١] الأزدي؛ قال : حدثنا زيد بن أرقم؛ قال : غزونا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نَبتَدرُ الماء، وكان الأعراب يسبقوننا ، يسبق الأعرابي أصحابه يملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النّطع عليه[٢] حتى يجيء أصحابه. قال[٣] : فأتى رجل من الأنصار الأعرابي ، فأرخىٰ زمام ناقته لتشرب ، فأبىٰ أن يدعه ، فانتزع حجرًا ففاض الماء ، فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه ، فأتىٰ عبد الله بن أبيّ رأسَ المنافقين، فأخبره وكان من أصحابه ، فغضب عبد الله بن أبيّ ، ثم قال : لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند الطعام . فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدًا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل. قال زيد : وأنا ردف عمي فسمعتُ عبد الله فأخبرت عَمّي ، فانطلق فأخبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله ، فحلف وجَحَد ، قال[٤] : فصدقه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكذبني ، فجاء إليّ عمي؛ فقال : ما أردت إلا[٥] أن مقتك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكذبَك والمسلمون . فوقع عليّ من الغم ما لم يقع علىٰ أحد قط ، فبينما أنا أسير مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في سفر وقد خَفَقْتُ برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فَعَرَك أذني ، وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا[٦] ، ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قلت : ما قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئًا غير أنْ عرك أذني ، وضحك في وجهي . فقال : « أبشر » . ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر . فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سورة المنافقين .

انفرد بإخراجه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي(١١) عن الحاكم ، عن [أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، عن سعيد بن مسعود ، عن][٧] عبيد الله بن موسىٰ به . وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » **﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا ﴾** حتىٰ بلغ : **﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾** .

(١١) - الدلائل (٥٤/٤ - ٥٥) .

[١] - في ز ، خ : سعيد .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفين بياض في خ ، وسقط من ز .

وقد روىٰ عبد الله بن لهيعة(١٢) ، عن أبي الأسود ، عن عُروَةَ بن الزبير في المغازي ، وكذا ذكر موسىٰ بن عقبة في مغازيه أيضًا هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذي بلّغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبيّ ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم[١] من بني الحارث ابن الخزرج ، فلعله مبلغ آخر ، أو تصحيف من جهة السمع ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبي حاتم -رحمه الله- : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي ، حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، أخبرني محمد بن مسلم؛ أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري[٢] أخبراه ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع ، وهي التي هدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المُشَلّل وبين البحر ، فبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من بَهْز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلىٰ الرجل الذي من المهاجرين علىٰ البهزي ، فقال البهزي : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين ، فنصره رجال من المهاجرين ، حتىٰ كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافق - أو رجل في قلبه مرض - إلىٰ عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرْجَىٰ وتدفع ، فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب - وكانوا يَدعُون كُل حديث هجرة[٣] : الجلابيب - فقال عبد الله بن أبيّ عدو الله : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشُم[٤] - وكان من المنافقين : أو لم أقل لكم لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا . فسمع بذلك عُمر بن الخطاب ، فأقبل يمشي حتىٰ جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه - يريد عمرُ عبد الله بن أبيّ - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » قال عمر : نعم[٥] والله لئن أمرتني بقتله لأضربَنّ[٦] عنقه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « اجلس » . فأقبل أسَيدُ بن الحُضَير - وهو أحد الأنصار ، ثم أحد بني عبد الأشهل - حتىٰ أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتنَ الناس أضربْ عنقه . فقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « أو قاتله أنتَ إن أمرتك بقتله ؟ » قال : نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن[٧]

(١٢) - أخرجه البيهقي (٥٦/٤) .

[١] - في ز ، خ : أقرم .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز ، خ : أهجرة .
[٤] - في ز ، خ : الدخشن .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز : لأضرب .
[٧] - في ز ، خ : لأضرب .

بالسيف تحت قُرط أذنيه . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « اجلس » . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « آذنوا بالرحيل » . فَهجَّرَ بالناس ، فسار يومه وليلته والغد حتىٰ مَتَعَ النهار ثم نزل . ثم هَجَّر بالناس مثلها ، فَصبَّح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المُشَلّل ، فلما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة أرسل إلىٰ عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : « أيْ عمر ؛ أكنت قاتلَه لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر : نعم . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليومَ بقتله امتثلوه فيتحدث الناسُ أني قد[١] وقعت علىٰ أصحابي فأقتلهم صبرًا » . وأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضوا** ﴾ ... إلىٰ قوله : ﴿ **لئن رجعنا إلىٰ المدينة** ...﴾ الآية .

وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار(١٣) : حدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ؛ أن عبدَ الله بن عبد الله ابن أبيّ - يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه - أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبَيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلًا فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمَتِ الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، إني أخشىٰ أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلىٰ قاتل عبد الله بن أبيّ يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقي معنا » .

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما ؛ أن الناس لما قفلوا راجعين إلىٰ المدينة ، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا علىٰ باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ؟ ويلك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتىٰ يأذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وكان إنما يسير ساقة ، فشكا إليه عبدُ الله بن أبيّ ابنَه ، فقال ابنُه عبد الله : والله يا رسول الله ؛ لا يدخلها حتىٰ تأذن له . فأذن له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ فقال : أما إذ أذن لك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فَجُز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحُمَيدي(١٤) في مسنده : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، حدثنا أبو هارون المدني[٢] ؛ قال : قال عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبدًا حتىٰ تقول : رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الأعزُ وأنا الأذل ، قال : وجاء النّبي

(١٣) - السيرة النبوية لابن هشام (٣/٧٦٠) .

(١٤) - أخرجه الحميدي (٢/٥٢٠ - ٥٢١) (١٢٤٠) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : المديني .

صلى الله عليه وسلم؛ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك[١] ، فإني أكره أن أرى قاتل أبي .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾

يقول تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهيًا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبرًا لهم بأنه مَنِ التَهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له[٢] من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين** ﴾ فكل مُفرّط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئًا يسيرًا، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى : [﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ وقال تعالى][٣] : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ ، أي لا ينظر أحدًا بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقًا في قوله وسؤاله ممن لو رُد لعاد إلى شر مما كان عليه؛ ولهذا قال : ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ .

وقال أبو عيسى الترمذي (١٥) : حدثنا عبد بن حميد، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا

---

(١٥) - سنن الترمذي، كتاب « التفسير، باب : ومن سورة المنافقين، حديث (٣٣١٣) (٩/٥٣ - ٥٤) .=

---

[١] - في خ : لأتيتك .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز ، خ .

أبو جَنَاب الكلبي ، عن الضحاك بن مُزَاحم ، عن ابن عباس؛ قال : من كان له مال يبلغه حجّ بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا بن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآنًا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * [وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب فأصدق** ﴾][١] إلىٰ قوله : ﴿ **والله خبير بما تعملون** ﴾ ، قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير ثم قال : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن يحيىٰ بن أبي حَيَّة - وهو أبو جناب الكلبي - عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبي [جَنَاب ، عن ابن][٢] الضحاك ، عن ابن عباس ، من قوله . وهو أصح وضعف أبا جناب الكلبي .

قلت : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٦) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نُفيل ، حدثنا سليمان بن عَطاء ، عن مسلمة الجهني ، عن عمه - يعني أبا مشجعة بن ربعي - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الزيادة في العمر [فقال : « إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر][٣] أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم في قبره » .

[آخر تفسير سورة « المنافقون[٤] » ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة] .

☆ ☆ ☆

= قال الترمذي ، وأبو جناب القصاب اسمه يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث . وأخرجه العقيلي (١٣٤/٢) ، وابن عدي (١١٣٣/٣) . كلاهما من طريق سليمان بن عطاء بهذا الإسناد قال العقيلي : لا يتابع عليه بهذا اللفظ ، وقد روى بمتن هذا الإسناد بلفظ « الولد الصالح يتركه الرجل فيدعوا له فيلحقه دعاؤه » من طريق صالح الإسناد ، والكلام الأول في الحديث ليس بمحفوظ . قال ابن عدي : قال البخاري : سليمان بن عطاء في حديثه بعض المناكير . والحديث عزاه ابن حجر في الفتح للطبراني الصغير (٤١٦/١٠) وضعفه .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : الحباب عن .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : المنافقين .

سورة المنافقون[1]

مدنيّة، وهي إحدى عشرةَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: حضروا مجلسك ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ مؤكِّدين كلامَهم بـ﴿إِنَّ﴾ و"اللام" للإيذان بأنّ شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوصِ اعتقادهم ووفورِ رغبتهم ونشاطِهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ اعتراض مقرِّر لمنطوق كلامهم وُسِّط بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ تحقيقًا وتعيينًا لِما نيط به التكذيب مِن أنّهم قالوه عن اعتقاد كما أشيرَ إليه، وإماطةً مِن أوّل الأمر لِما عسى يُتوهَّم مِن توجّه التكذيب إلى منطوق كلامهم، أي: والله يشهد إنّهم لكاذبون فيما ضمّنوا مقالتهم مِن أنّها صادرة عن اعتقاد وطُمأنينة قلبٍ. / والإظهار في موقع الإضمار لذمِّهم والإشعارِ بعلَّة الحُكم. [١٩٥ظ]

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ②﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الفاجرة التي مِن جملتها ما حُكي عنهم ﴿جُنَّةً﴾ أي: وقايةً عمّا يتوجَّه إليهم مِن المؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك. واتّخاذُها جُنّةً عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلَّصوا عن المؤاخذة، لا عن استعمالها بالفعل، فإنّ ذلك متأخِّر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية، واتّخاذُ الجُنّة لا بدّ أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضًا،

---

[1] س: المنافقين.

كما يُفصح عنه "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فصدُّوا مَن أراد الدخول في الإسلام بأنّه عليه السلام ليس برسول ومَن أراد الإنفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيُحكى عنهم، ولا ريبَ في أنّ هذا الصدّ منهم متقدِّم على حلفهم بالفعل.

وقُرئ: "إيمَانَهُمْ"،[1] أي: ما أظهروه على ألسنتهم، فاتّخاذُه جُنّةً عبارة عن استعماله بالفعل، فإنّه وقاية دون دمائهم وأموالهم، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ﴾ حينئذ: فاستمرُّوا على ما كانوا عليه مِن الصدود والإعراض عن سبيله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ مِن النفاق والصدّ. وفي ﴿سَآءَ﴾ معنى التعجّبِ وتعظيمِ أمرهم عند السامعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدَّم مِن القول الناعي عليهم أنّهم أسوأ الناس أعمالًا، أو إلى ما وُصف مِن حالهم في النِّفاق والكذب والاستتار بالإيمان الصُّوري. وما فيه مِن معنى البُعد مع قُرب العهد بالمشار إليه لِما مرّ مرارًا مِن الإشعار ببُعد منزلته في الشرّ. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: نطقوا بكلمة الشهادة كسائر مَن يدخل في الإسلام، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أي: ظهر كفرهم بما شُوهد منهم مِن شواهد الكفر ودلائله، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثمّ نطقوا بالكفر عند شياطينهم.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتّى تمرَّنوا على الكفر واطمأنُّوا به. وقُرئ على البناء للفاعل،[2] وقُرئ: "فَطَبَعَ اللهُ".[3] ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقّيّته أصلًا.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن، والرُّهاوي عن الساجي عن يعقوب. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ١٧٩٣.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ والأعمش وعُبيد بن عُمير. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٤؛ **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ١٧٩٣.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن، والرُّهاوي عن الساجي عن يعقوب. **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٤٧٤.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ④﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامتها ويَروقك منظرهم لصَباحة وجوههم، ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم وذَلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامِهم، وكان ابن أُبيّ جسيمًا فصيحًا / يحضر مجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في [١٩٦و] نفر مِن أمثاله وهم رؤساء المدينة، وكان عليه السلام ومَن معه يُعجَبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم. وقيل: الخطاب لكلّ أحد ممّن يصلح للخطاب، ويؤيّده قراءة: "يُسْمَعْ"[١] على البناء للمفعول.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ في حيّز الرفع على أنّه خبرُ مبتدأ محذوف، أو كلام مستأنَف لا محلّ له، شُبّهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مستندين فيها بخُشب منصوبة مُسنَّدة إلى الحائط في كونهم أشباحًا خاليةً عن العِلم والخير. وقُرئ: "خُشْبٌ"[٢] على أنّه جمع "خَشَبة" كـ"بُدْن" جمع "بَدَنة". وقيل: هو جَمعُ "خَشباء" وهي الخشبةُ التي دَعِر جوفها، أي: فسَد، شُبّهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم.[٣] وقُرئ: "خَشَبٌ"[٤] كـ"مَدَرة" و"مَدَر".

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعةً عليهم ضارّةً لهم لجُبنهم واستقرارِ الرعب في قلوبهم. وقيل: كانوا على وَجَل مِن أن يُنزل الله فيهم ما يهتك أستارهم، ويُبيح دماءهم وأموالهم. ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها، فإنّ أعدى الأعادي العدوُّ المكاشِر الذي يُكاشِرك وتحت ضلوعه الداء الدويُّ.

والجملة مستأنَفة، وجَعْلُها مفعولًا ثانيًا للحسبان ممّا لا يُساعده النظم الكريم أصلًا، فإنّ "الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم وطلبٌ مِن ذاته تعالى أن يلعنهم ويُخزيهم،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عطيّة بن سعيد العَوفي والضحّاك. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٩٣.

٢ قرأ بها أبو عمرو والكسائي. النشر لابن الجزري، ٢/٢١٦.

٣ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٠٩.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن عبّاس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيّب وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٤؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٩٣.

أو تعليمٌ للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ تعجيبٌ مِن حالهم، أي: كيف يُصرَفون عن الحقّ إلى ما هم عليه مِن الكفر والضلال.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي: عطفوها استكبارًا ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرِضون عن القائل أو عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن ذلك.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ كما إذا جاءوك معتذرين مِن جنايتهم. وقُرئ: "اسْتَغْفَرْتَ"[1] بحذف حرف الاستفهام ثقةً بدلالة ﴿أَمْ﴾ عليه. وقُرئ: "آسْتَغْفَرْتَ"[2] بإشباع همزة الاستفهام، لا بقلب همزة الوصل ألفًا. ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ كما إذا أصرّوا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار.

﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أبدًا لإصرارهم على الفِسق ورسوخهم في الكفر. / ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الكاملين في الفِسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمِكين في الكفر والنِّفاق. والمراد إمّا هم بأعيانهم، والإظهارُ في موقع الإضمار لبيان غلوّهم في الفِسق، أو الجنسُ وهم داخلون في زمرتهم دخولًا أوّليًّا. [١٩٦ظ]

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ أي: للأنصار ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ يعنُون فقراء المهاجرين. استئنافٌ جارٍ مَجرى التعليل لفِسقهم،

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن الصوفي، والأديب، والعنبري عن أبي بكر، والزهريّ، وثابتٍ الأنطاكيّ عن أبي جعفر. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ١٧٩٤.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحلواني عن أبي جعفر، والخبازي لفضل عنه. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ١٧٩٤.

أو لعدم مغفرته تعالى لهم. وقُرئ: "حَتَّى يُنفِضُوا"[١] مِن "أنفَض القومُ" إذا فنيت أزوادهم، وحقيقتُه: حان لهم أن يُنفضوا مزاودهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ردٌّ وإبطال لِما زعموا مِن أنّ عدم إنفاقهم يؤدّي إلى انفضاض الفقراء مِن حوله عليه السلام ببيان أنّ خزائن الأرزاق بيد الله تعالى خاصّة يعطي مَن يشاء ويمنع مَن يشاء. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه، ولذلك يقولون مِن مقالات الكفر ما يقولون.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ رُوي أنّ جَهْجَاه بن سعيد[٢] أجيرَ عمرَ رضي الله عنه نازع سِنانًا الجُهَنيّ[٣] حليفَ ابن أُبيّ واقتتلا، فصرخ جَهْجَاه يا لَلمهاجرين وسِنان يا لَلأنصار، فأعان جَهْجَاهًا جِعالٌ مِن فقراء المهاجرين ولطَم سِنانًا، فاشتكى إلى ابن أُبيّ، فقال للأنصار: ﴿لَا تُنفِقُوا﴾... إلخ، واللهِ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، عنى بالأعزّ نفسه وبالأذلّ جانبَ المؤمنين.[٤]

وإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به، فرُدّ عليهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولله الغلبة والقوّة ولِمن أعزّه الله مِن رسوله والمؤمنين لا لغيرهم.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وعيسى بن عمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٩٥.

٢ هو جهجاه بن سعيد الغفاري، وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود. مِن فقراء المهاجرين، وهو أجير لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه. شهد بيعة الرضوان بالحُديبية، وشهد غزوة المُريسيع مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وهو الذي نازع سِنان بن وبر الجُهني يوم المُرَيسيع الدلو وهما يستقيان الماء، والقصّة مذكورة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ١١٠٨/٥؛ والإصابة لابن حجر، ٥١٨/١.

٣ هو سِنان الجهني، كان حليفًا في بني سالم مِن الأنصار، شهد المُرَيسيع مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هو الذي نازع جهجاه بن سعيد يومئذ الدلو، وتنادوا بالقبائل. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢٦٧/٥.

٤ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ١٦٦٧/٢٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٣١/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٠٩/٤.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِن فرط جهلِهم وغرورهم فيَهْذون ما يَهْذون. رُوي أنّ عبد الله بن أُبيّ لمّا أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ، وكان مخلِصًا، وقال: لئن لم تُقرّ لله ورسوله بالعزّ لأضربنّ عنقك، فلمّا رأى منه الجِدّ قال: أشهد أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، / فقال [١٩٧و] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لابنه: جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يشغلكم الاهتمامُ بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتّع بها عن الاشتغال بذِكره عزّ وجلّ مِن الصلاة وسائرِ العبادات المذكِّرة للمعبود. والمراد نهيُهم عن التلهّي بها، وتوجيهُ النهي إليها للمبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾... إلخ، [المائدة، ٥/٢].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: التلهّي بالدنيا مِن الدِّين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أي: بعض ما أعطيناكم تفضّلًا مِن غير أن يكون حصوله مِن جهتكم ادّخارًا للآخرة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ بأن يشاهد دلائله ويُعاين أماراته ومخايله. وتقديمُ المفعول على الفاعل لِما مرّ مرارًا مِن الاهتمام بما قُدّم والتشويق إلى ما أُخّر. ﴿فَيَقُولَ﴾ عند تيقُّنه بحلوله ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ أي: أمهلتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: أمدٍ قصير ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بالنصب على جواب التمنّي. وقُرئ: "فَأَتَصَدَّقَ".[١] ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالجزم عطفًا

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وعيسى بن عمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٩٦.

على محلّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، كأنّه قيل: إن أخرتني أصّدّق وأكن. وقُرئ: "وَأَكُونَ"[١] بالنصب عطفًا على لفظه، وقُرئ: "وَأَكُونُ"[٢] بالرفع، أي: وأنا أكون، عِدَةً منه بالصلاح.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١﴾

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي: ولن يمهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ أي: آخرُ عمرها، أو انتهى إن أُريدَ بالأجل الزمان الممتدّ مِن أوّل العمر إلى آخره. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمُجازٍ لكم عليه إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ، فسارعوا في الخيرات واستعدُّوا لِما هو آت. وقُرئ: "يَعْمَلُونَ"[٣] بـ"الياء" التحتانيّة.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة المنافقين برئ مِن النِّفاق».[٤]

---

١ قرأ بها أبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٣٨٨/٢.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عُمير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٧٤.
٣ قرأ بها أبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٨٨/٢.
٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٤٤٠/٢٦ (المنافقون، ١/٦٣)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٠٢/٤ (المنافقون، ١/٦٣)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤١٢/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٦٣

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا﴾ بألسنتهم على خِلاف ما في قُلوبهم: ﴿نَشهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ـ واللهُ يَعلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ ـ واللهُ يَشهَدُ﴾: يعلم ﴿إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ فيما أضمروه مُخالفًا لما قالوه، ٢ ـ ٣ ـ ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً﴾: سُترة عن أموالهم ودمائهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم. ﴿إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ! ذلِكَ﴾ أي: سُوءُ عملهم ﴿بِأَنَّهُم آمَنُوا﴾ باللسان، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب، أي: استمرّوا على كُفرهم به، ﴿فطُبِعَ﴾: خُتم ﴿علَى قُلُوبِهِم﴾ بالكُفر، ﴿فهُم لا يَفقَهُونَ﴾ الإيمانَ.

٤ ـ ﴿وإذا رأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم﴾ لجمالها، ....

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

قولُهُ: (بِهَا) صدًّا، أو صدوداً؛ أي: منعاً، أو إعراضاً.

قولُهُ: (أي: عَنِ الجِهَادِ) أو عن دينِهِ.

قولُهُ: (أي: سُوءُ عَمَلِهِم) أي: ذلك القولُ الشَّاهدُ على سوءِ أعمالِهِم.

قولُهُ: (بالكُفرِ) حتَّى استَحكَموا فيهِ.

قولُهُ: (الإِيمَانَ) أي: حقيقتَهُ وصحَّتَهُ.

قولُهُ: (لِجَمَالِهَا) وضخامَتِها.

﴿وإن يَقُولُوا تَسمَعْ لِقَولِهِم﴾ لفصاحته. ﴿كأنَّهُم﴾ من عِظَمِ أجسامهم في ترك التفهّم ﴿خُشْبٌ﴾ - بسكون الشين وضمّها - ﴿مُسَنَّدةٌ﴾: مُمالة إلى الجِدار، ﴿يَحسِبُونَ كُلَّ صَيحةٍ﴾ تُصاحُ كنِداء في العسكر وإنشاد ضالّة ﴿عليهِم﴾ لِما في قلوبهم من الرُّعب، أن ينزل فيهم ما يُبيح دماءهم. ﴿هُمُ العَدُوُّ. فاحذَرْهُم﴾ فإنهم يُفشون سِرّك للكُفّار. ﴿قاتَلَهُمُ اللهُ﴾: أهلكَهم. ﴿أنّى يُؤفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن الإيمان بعد قيام البُرهان؟

٥ ـ ٦ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تعالَوا﴾ مُعتذِرينَ، ﴿يَستَغفِرْ لَكُم رَسُولُ اللهِ. لَوَّوْا﴾، بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿رُؤُوسَهُم، ورأيتَهُم يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضُونَ عن ذلك، ﴿وهُم مُستكبِرُونَ. سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم﴾ ـ استُغنِيَ بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ـ ﴿أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم. لَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم. إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾.

٧ ـ ٨ ـ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لِأصحابهم من الأنصار: ﴿لا تُنفِقُوا علَى مَن عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾ من المُهاجرين ﴿حَتَّى يَنفَضُّوا﴾: يتفرّقوا عنه ـ ﴿ولِلهِ خَزائنُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ بالرزق،............

قولُهُ: (لِفَصَاحَتِهِ) وحلاوتِهِ.

قولُهُ: (في تَرْكِ التَّفَهُّمِ) أي: في كونِهِم أشباحاً خاليةً عن العلمِ والنَّظرِ.

قولُهُ: (بِسُكُونِ الشِّينِ) قنبلٌ وبصريٌّ والكسائيُّ[١].

قولُهُ: (مُمَالَةٌ) لا هي مركَّبةٌ في البناءِ، ولا مغروسةٌ فينتفعُ بها.

قولُهُ: (أَهلَكَهُم) دعاءٌ عليهم، وهو طلبٌ من ذاتِهِ تعالى أن يلعنَهُم، أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يَدعوا عليهِم بذلك.

قولُهُ: (بالتَّخْفِيفِ) نافعٌ[٢].

قولُهُ: (عَطَفُوا) إعراضاً واستكباراً.

قولُهُ: (عَن ذَلِكَ) أي: الاستغفارِ، وهم مستكبِرونَ عن الاعتذارِ.

قولُهُ: (عَن هَمزَةِ الوَصلِ) بل حُذِفَت في الدَّرجِ كما هو شَأنُها، لا لخصُوصِ همزَةِ الاستفهامِ.

قولُهُ: (مِنَ المُهَاجِرِينَ) أي: فقرائِهِم.

قولُهُ: (بالرِّزقِ) أي: بيدِهِ الأرزاقُ والقسمُ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١١).

(٢) انظر المصدر السابق.

فهو الرازق للمُهاجرين وغيرهم، ﴿ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يفقَهُونَ ـ يَقُولُونَ: لَئِنْ رَجَعْنا﴾ أي: من غزوة بني المُصطلِق، ﴿إلَى المَدِينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ﴾: عنَوا به أنفُسَهم ﴿مِنها الأذَلَّ﴾: عنَوا به المُؤمنين. ﴿ولِلهِ العِزَّةُ﴾: الغلبةُ ﴿ولِرَسُولِهِ ولِلمُؤمِنِينَ، ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك.

٩ ـ ١٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُلْهِكُم﴾: تَشغَلْكم ﴿أموالُكُم ولا أولادُكُم عَن ذِكرِ اللهِ﴾: الصلوات الخمس ـ ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ ـ وأنفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِمّا رَزَقْناكُم مِن قَبلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ المَوتُ، فيَقُولَ: رَبِّ، لَولا﴾ ـ بمعنى: هلاّ، أو لا: زائدة ولو: للتمنّي ـ ﴿أخَّرتَنِي إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتَصدّق بالزكاة، ﴿وأكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ﴾، بأن أحُجّ. قال ابن عبّاس: ما قصّر أحد في الزكاة والحجّ إلاّ سأل الرجعةَ عِند الموت.

١١ ـ ﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفسًا إذا جاءَ أجَلُها، واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾، بالتاء والياء.

قولُهُ: (أي: مِنْ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ) قصَّتُها مذكورةٌ في الكتبِ المبسوطَةِ.

قولُهُ: (أَنْفُسَهُم) أو خسيسَهُم.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) أو رئيسَهُم.

قولُهُ: (الغَلَبَةُ) والقوَّةُ، ولمن أعزَّهُ.

قولُهُ: (ذلِكَ) مِن فرطِ جهلِهِم، وغايةِ غرورِهِم.

قولُهُ: (الصَّلوَاتِ) أي: تدبيرِها والاهتمامِ بها عن ذكرِهِ؛ كالصَّلواتِ وسائرِ العباداتِ المذكِّرة للمعبودِ، والمرادُ: نهيُهم عن اللَّهوِ بها، وتوجيهُ النَّهي إليها للمُبالغةِ، فإنَّها غالباً تُلهي.

قولُهُ: (فِي الزَّكَاةِ) أي: بعضَ أموالِكُم ادِّخاراً للآخرةِ.

قولُهُ: (هَلَّا) وهو تحضيضٌ، أو عرضٌ، أو تقديمٌ.

قولُهُ تعالى: (وأكُونَ) بالنَّصبِ بصريٌّ[1] عطفاً على: ﴿أَصَّدَّقَ﴾، والجمهورُ على جزمِ: ﴿أَكُنْ﴾ للعطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَها، ويُسَمَّى العطفَ على المعنى.

قولُهُ: (والياءِ) شعبةُ[2]؛ ليوافقَ ما قبلَهُ في الغيبةِ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١١).

(٢) انظر المصدر السابق.

سُورَةُ المنَافِقُونَ

مدنيَّةٌ، وعدد آياتها إحدى عشرةَ آيةً بلا خلاف.

ووجهُ اتصالها أنَّ سورةَ الجمعة ذُكِرَ فيها المؤمنون، وهذه ذُكر فيها أضدادهم، وهم المنافقون، ولهذا أخرج سعيد بن منصور والطبرانيُّ في «الأوسط» بسندٍ حَسَنٍ عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقرأُ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة، فيُحرِّضُ بها المؤمنين، وفي الثانية بسورة المنافقين، فيُقرِّعُ بها المنافقين[(1)].

وقال أبو حيان في ذلك: إنه لَمَّا كان سببُ الانفضاض عن سماع الخطبة ربَّما كان حاصلاً عن المنافقين، واتَّبعهم ناسٌ كثيرٌ من المؤمنين في ذلك؛ لسرورهم بالعِير التي قَدِمَتْ بالمِيْرة؛ إذ كان الوقتُ وقتَ مجاعةٍ، جاء ذِكْرُ المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبع بقبائح أفعالهم وأقوالهم[(2)]. والأولُ أولى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: حضروا مجلسكَ، والمرادُ بهم عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ التأكيدُ بـ «إنَّ» واللام لِلَازِم فائدة الخبر، وهو عِلْمُهم بهذا الخبر المشهود به، فيفيد تأكيدَ الشهادة، ويدلُّ على ادِّعائهم فيها المواطأةَ، وإن كانت في نفسها تقعُ على الحقِّ والزور.

---

(1) الدر المنثور ٦/ ٢٢٢، والطبراني في الأوسط (٩٢٧٥).
وجاء في مطبوع الطبراني، وكذا في مجمع الزوائد ٢/ ١٩١: فيُفزِعُ. بدل: فيُقرِّع.
(2) البحر المحيط ٨/ ٢٧١.

والتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ لمزيد الاعتناء حقيقةً بشأن الخبر، أو: ليس إلا ليوافقَ صنيعَهم، وجِيءَ بالجملة اعتراضاً لإماطة ما عسى أن يُتوهَّمَ من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾ من رجوع التكذيب إلى نفس الخبر المشهود به من أول الأمر، وذكر الطِّيبيُّ أنَّ هذا نوعٌ من التتميم لطيفُ المسلك، ونظيره قول أبي الطيب:

وتحتقرُ الدنيا احتقارَ مُجرِّبٍ ترى كلَّ ما فيها وحاشاكَ فانياً[1]

فالتكذيبُ راجعٌ إلى «نشهد» باعتبار الخبر الضِّمني الذي دلَّ عليه التأكيدُ، وهو دعوى المواطأة في الشهادة، أي: والله يشهدُ إنهم لكاذبون فيما ضمَّنوه قولهم: «نشهد» من دعوى المواطأة وتَوَافُقِ اللسان والقلب في هذه الشهادة.

وقد يقال: الشهادةُ خبرٌ خاصٌّ، وهو ما وافقَ فيه اللسانُ القلبَ، وأما شهادةُ الزور فتجوز كإطلاق البيع على غير الصحيح، فهم كاذبون في قولهم: «نشهد» المتفرِّعِ على تسمية قولهم ذلك شهادة، وهو مرادُ من قال: أي: لكاذبون في تسميتهم ذلك شهادةً، فلا تغفل.

وعلى هذا لا يحتاجُ في تحقُّق كَذِبهم إلى ادِّعائهم المواطأةَ ضِمْناً؛ لأنَّ اللفظَ موضوعٌ للمواطِئ، وجُوِّز أن يكونَ التكذيبُ راجعاً إلى قولهم: «إنك لرسول الله» باعتبار لازم فائدة الخبر، وهو بمعنى رجوعه إلى الخبر الضمني، وأن يكون راجعاً إليه باعتبار ما عندهم، أي: لكاذبون في قولهم: «إنك لرسول الله» عند أنفسهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنه كَذِبٌ وخبرٌ على خلاف ما عليه حالُ المخبَر عنه، قيل: وعلى هذا، الكذبُ هو الشرعيُّ اللاحقُ به الذَّمُّ، ألا ترى أنَّ المجتهدين لا يُنسَبونَ إلى الكذب، وإن نُسِبوا إلى الخطأ.

وجوَّزَ العلامة الثاني أن يكون التكذيبُ راجعاً إلى حلف المنافقين، وزَعْمِهم[2] أنهم لم يقولوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، و: لئن

---

(١) ديوان المتنبي ٤/ ٤٢٧.

(٢) في (م): وزعموا.

رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل؛ لما ذُكِرَ في «صحيح البخاري»[١] عن زيد بن أرقم أنه قال: كنت في غزاةٍ مع رسول الله ﷺ فسمعتُ عبدَ الله بن أبيٍّ بن سلول يقول: لا تُنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله، ولو رَجَعنا من عنده ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. فذكرتُ ذلك لعمِّي، فذكره لنبيِّ الله ﷺ، فدعاني فحدَّثته، فأرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه، فحلفوا أنهم ما قالوا. فكذَّبني رسولُ الله ﷺ وصَدَّقه، فأصابني هَمٌّ لم يُصبني مثلُهُ قَطّ، فجلستُ في البيت، فقال لي عمِّي: ما أردتَ إلى أنْ كذَّبك رسول الله ﷺ ومَقَتك. فأنزل الله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ، فقرأ فقال: «إنَّ الله صَدَّقك يا زيد».

وجوَّزَ بعضُ الأفاضل أن يكونَ المعنى: إنَّ المنافقينَ شأنُهم الكذب، وإن صَدَقوا في هذا الخبر. وأيًّا ما كان فلا يتمُّ للنَّظَّام الاستدلالُ بالآية على أنَّ صِدْقَ الخبر مطابقتُهُ لاعتقاد المخبِر، ولو كان ذلك الاعتقادُ خطأً، وكَذِبَهُ عدمُها.

وإظهارُ المنافقين في موقع الإضمار لِذَمِّهم، والإشعار بعلَّة الحكم، والكلامُ في «إذا» على نحو ما مرَّ آنفاً.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ أي: الكاذبة على ما يشير إليه الإضافة ﴿جُنَّةً﴾ أي: وقايةً عمَّا يتوجَّه إليهم من المؤاخذة بالقتل أو السبي أو غير ذلك. قال قتادة: كلَّما ظهرَ على شيءٍ منهم يُوجب مؤاخذتهم، حَلَفوا كاذبينَ عِصْمةً لأموالهم ودمائهم، وهذا كلامٌ مستقلٌّ تعداداً لقبائحهم، وأنهم من عادتهم الاستجنان بالأيمان الكاذبة، كما استَجَنُّوا بالشهادة الكاذبة. ويجوزُ أن يُرادَ بأيمانهم شهادتهم السابقة؛ والشهادةُ وأفعالُ العلم واليقين أَجرَتْها العربُ مجرى القَسَم؛ وتلقَّتها بما يُتَلقَّى القَسَمُ، ويؤكَّدُ بها الكلامُ كما يُؤكَّدُ به، فلهذا يُطلَقُ عليها اليمين، وبهذا استشهد أبو حنيفة على أنَّ: أشهد، يمين. واعترضه ابن المنير[٢] بأنَّ غايةَ ما في الآية أنه سُمِّي يميناً، والكلامُ في وجوب الكفارة بذلك، لا في إطلاق الاسم، وليس كلُّ ما يُسمَّى يميناً

(١) برقم (٤٩٠٠) و(٤٩٠١) و(٤٩٠٤)، وهو عند أحمد (١٩٣٣٣).
(٢) الإنصاف ٤/ ١٠٨.

تجبُ فيه الكفارة، فلو قال: أحلفُ على كذا. لا تجبُ عليه الكفارة، وإن كان حلفاً. والجمعُ باعتبار تعدُّد القائلين، والكلامُ على هذا استئنافٌ يدلُّ على فائدة قولهم ذلك عندهم، مع الذَّمِّ البالغ بما عقبه.

وقيل: إنَّ «اتخذوا» جواب «إذا»، وجملة «قالوا» السابقة في موضع الحال بتقدير «قد» أو بدونه. وهو خلافُ الظاهر، وأبعدُ منه جَعْلُ الجملة حالاً، وتقديرُ جوابٍ لـ «إذا».

وقال الضحاك: أي: اتَّخذوا حَلِفَهم بالله إنهم لمنكم جُنَّةً عن القتل أو السبي، أو نحوهما مما يُعامَلُ به الكفار. ومن هنا أخذ الشاعر قوله:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لِصَوْنِ دمائهم أن لا تُسالا[1]

وعن السُّدِّي أنهم اتخذوا ذلك جُنَّةً من تَرْكِ الصلاة عليهم إذا ماتوا، وهو كما ترى وكذا ما قبله.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: مَنْ أراد الدخولَ في دين الإسلام؛ أو مَنْ أراد فِعْلَ طاعةٍ مطلقاً، على أنَّ الفعلَ متعدٍّ والمفعولَ محذوفٌ، أو: أعرضوا عن الإسلام حقيقةً، على أنَّ الفعلَ لازمٌ، وأيًّا ما كان فالمراد ـ على ما قيل ـ استمرارُهم على ذلك.

وحَمَلَ بعضُ الأجلَّة الأَيمانَ على ما يعمُّ ما حكي عنهم من الشهادة، ثم قال: واتخاذها جُنَّةً عبارةٌ عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها، ويتخلَّصوا عن المؤاخذة، لا عن استعمالها بالفعل، فإنَّ ذلك متأخِّرٌ عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية، واتخاذُ الجُنَّةِ لا بدَّ أن يكونَ قبل المؤاخذة، وعن سببها[2] أيضاً كما يُفصِحُ عنه الفاء في «فصدُّوا» أي: مَنْ أرادَ الإسلامَ، أو الإنفاقَ كما سيُحكى عنهم، ولا ريب في أنَّ هذا الصَّدَّ متقدِّمٌ على حَلِفهم. وقرئ ـ أي: قرأ الحسن ـ: «إيمانهم» بكسر الهمزة[3]، أي: الذي أظهروه على ألسنتهم،

(١) البيت في البحر المحيط ٨/ ٢٧١ دون نسبة.
(٢) أي: ومتأخر عن سببها.
(٣) القراءات الشاذة ص١٥٧، والمحتسب ٢/ ٣٢٢، والكلام من تفسير أبي السعود ٨/ ٢٥٢.

فاتخاذُ جُنَّةً عبارةٌ عن استعماله بالفعل، فإنه وقايةٌ دون دمائهم وأموالهم، فمعنى قوله تعالى: «فصدوا»: فاستمرُّوا على ما كانوا عليه من الصُّدود والإعراض عن سبيله تعالى. انتهى، وفيه ما يُعرَفُ بالتأمُّلِ، فتأمل.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾ من النفاق وما يتبعه، وقد مرَّ الكلام في «ساء» غيرَ مرَّةٍ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من القول الناعي عليهم أنهم أسوأُ الناس أعمالاً، أو إلى ما ذُكِرَ من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان الفاجرة، أو الإيمان الصُّوري، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه؛ لما مرَّ مراراً من الإشعار في مثل هذا المقام ببعد منزلته في الشَّرِّ، وجوَّزَ ابن عطية كونه إشارة إلى سوء ما عملوا، فالمعنى: ساء عملهم[1] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ءَامَنُوا۟﴾ أي: نطقوا بكلمة الشهادة كسائر مَنْ يدخل في الإسلام ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ ظهر كُفْرهم وتبيَّنَ بما اطَّلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمدٌ حقًّا فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمعُ هذا الرجل أن تُفتَحَ له قصورُ كسرى وقيصر، هيهات. وغير ذلك. و«ثم» على ظاهرها، أو لاستبعاد ما بين الحالين. أو: ثم أَسرُّوا الكفرَ، فـ «ثم» للاستبعاد لا غير. أو: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاءً بالإسلام. وقيل: الآيةُ في أهل الردة منهم.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى يموتوا على الكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ حقيقة الإيمان أصلاً.

وقرأ زيد بن علي «فَطَبع» بالبناء للفاعل[2]، وهو ضميره تعالى، وجُوِّزَ أن يكون ضميراً يعودُ على المصدر المفهوم مما قبل، أي: فَطَبع هو، أي: تلعابُهم بالدين.

وفي روايةٍ أنه قرأ: «فَطَبع الله» مصرِّحاً بالاسم الجليل، وكذا قرأ الأعمش[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٩، والبحر ٨/ ٢٧١.

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٦، والمحرر ٥/ ٣١٢، والبحر ٨/ ٢٧٢.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لصَباحَتها وتَناسُبِ أعضائها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحتهم، وذلاقة ألسنتهم، وحلاوة كلامهم، وكان ابن أبيٍّ جسيماً فصيحاً يحضُر مجلس رسول الله ﷺ في نفرٍ من أمثاله كالجَدِّ بن قيس، ومُعتِّب بن قُشير، فكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يَعجبون من هياكلهم، ويسمعون لكلامهم.

والخطابُ قيل: لكلِّ مَنْ يصلحُ له، وأُيِّدَ بقراءة عكرمة وعطية العوفي: «يُسْمَعْ» بالياء التحتية والبناء للمفعول[١]. وقيل: لسيِّد المخاطَبين عليه الصلاة والسلام، وهذا أبلغُ على ما في «الكشف» لأنَّ أجسامهم إذا أعجبته ﷺ فأَولى أن تُعجِبَ غيره؛ وكذا السماعُ لقولهم، وليوافق قوله تعالى: «إذا جاءك».

والسماعُ مُضمَّنٌ معنى الإصغاء، فليستِ اللامُ زائدةً.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ كلامٌ مستأنفٌ لذمِّهم، لا محلَّ له من الإعراب؛ وجُوِّزَ أن يكون في حَيِّز الرفع، على أنه خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هم كأنهم.. إلخ؛ والكلامُ مستأنفٌ أيضاً. وأنت تعلم أنَّ الكلامَ صالحٌ للاستئناف من غير تقدير، فلا حاجةَ إليه.

وقيل: هو في حَيِّز النَّصْبِ على الحال من الضمير المجرور في «لقولهم»، أي: تسمع لما يقولونَ مُشبَّهين بخُشُبٍ مُسنَّدةٍ كما في قوله:

فقلت عسى أن تُبصريني كأنما ... بَنِيَّ حواليَّ الأُسُودُ الحَوارِدُ[٢]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢، والبحر ٨/ ٢٧٢.
وجاء في مطبوع القراءات الشاذة ص١٥٧: «تسمع» من غير تقييد.

(٢) في الأصل: الخوادر، وفي (م): الحوادر. وكلاهما غلط. والمثبت من دلائل الإعجاز ص٢١١، ومعاهد التنصيص ١/ ٣٠٤.
والبيت للفرزدق وهو في ديوانه ص١٤٦ وفيه: اللوابد، بدل: الحوارد. قال الشيخ محمود محمد شاكر في تعليقه على الدلائل: وهي ـ أي: رواية الديوان ـ أصح الروايتين وأولاها بهذا الشعر، ورواية أكثر كتب البلاغة كما هنا (يعني الدلائل)، والحوارد: الغضاب، واللوابد: جمع لابد، وهو الأسد.

وتُعقِّبَ بأنَّ الحالية تفيدُ أنَّ السماعَ لقولهم لأنهم كالخُشُبِ المسنَّدة. وليس كذلك.

و«خُشُب» جمعُ خَشَبة كَثَمرةٍ وثُمُر، والمراد به ما هو المعروفُ، شُبِّهوا في جلوسهم [في][1] مجالس رسول الله ﷺ مستندين فيها، وما هم إلا أجرامٌ خاليةٌ عن الإيمان والخير، بخُشُبٍ منصوبةٍ مُسنَّدةٍ إلى الحائط في كونهم أشباحاً خاليةً عن الفائدة؛ لأنَّ الخُشُبَ تكونُ مُسنَّدةً إذا لم تكن في بناءٍ أو دعامة بشيءٍ آخر.

وجُوِّزَ أن يُرادَ بالخُشُبِ المسنَّدةِ الأصنامُ المنحوتةُ من الخُشُبِ المسنَّدة إلى الحيطان، شُبِّهوا بها في حُسْنِ صُوَرِهم وقِلَّة جَدْواهم، وفي مثلهم قال الشاعر:

لا يَخْدَعَنْكَ اللُّحى ولا الصُّوَرُ ... تسعةُ أعشارِ مَن تَرى بقرُ
تراهمُ كالسَّحاب منتشراً ... وليس فيها لطالبٍ مطرُ
وفي شجر السَّرو منهمُ شَبَهٌ ... له رَواءٌ وما له ثمرُ[2]

وقرأ البراء بن عازب، والنحويان، وابن كثير: «خُشْبٌ» بإسكان الشين[3]، تخفيف «خُشُب» المضموم، ونظيره: بَدَنة وبُدْن. وقيل: جمع خشباء، كَحُمْرٍ وحَمْراء، وهي الخشبةُ التي نُخِرَ جوفُها، شُبِّهوا بها في فساد بواطنهم لنفاقهم. وعن اليزيديِّ حَمْلُ قراءة الجمهور بالضَّمِّ على ذلك، وتُعقِّبَ بأنَّ: فعلاء، لا يُجمَعُ على: فُعُلٍ، بضمَّتين، ومنه يُعلَمُ ضَعْفُ القيل؛ إذ الأصلُ تَوافُقُ القراءات.

وقرأ ابن عباس وابن المسيب وابن جبير: «خَشَبٌ» بفتحتين، كَمَدَرةٍ ومَدَر، وهو اسمُ جنسٍ على ما في «البحر»[4]، وَوَصْفُهُ بالمؤنَّثِ كما في قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: واقعة عليهم ضارَّة لهم؛ لجُبْنهم وهَلَعهم،

---

(١) ما بين حاصرتين من تفسير أبي السعود ٨/ ٢٥٢، والكلام منه.
(٢) الأبيات لابن لنكك محمد بن محمد البصري، وهي في يتيمة الدهر ٢/ ٤١٠، والبحر المحيط ٨/ ٢٧٢.
(٣) التيسير ص٢١١، والنشر ٢/ ٢١٦، والبحر ٨/ ٢٧٢.
(٤) ٨/ ٢٧٢، وينظر الكشاف ٤/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

فكانوا كما قال مقاتل: متى سمعوا بِنِشْدان ضالَّةٍ، أو صياحاً بأيِّ وجهٍ كان، طارت عقولهم، وظنُّوا ذلك إيقاعاً بهم، وقيل: كانوا على وَجَلٍ من أن يُنزلَ الله عزَّ وجلَّ فيهم ما يَهتِكُ أستارهم، ويُبيح دماءهم وأموالهم؛ ومنه أخذ جريرٌ قوله يُخاطِبُ الأخطل:

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيلاً تكرُّ عليهم ورجالا[1]

وكذا المتنبي قوله:

وضاقتِ الأرضُ حتى ظنَّ هاربهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا[2]

والوقف على «عليهم» الواقع مفعولاً ثانياً لـ «يحسبون»، وهو وقفٌ تامٌّ كما في الكواشي، وعليه كلام الواحديّ.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ استئنافٌ، أي: هم الكاملون في العداوة، والراسخون فيها، فإنَّ أعدى الأعادي العدوُّ المداجي، الذي يكاشرك[3] وتحت ضلوعه الداءُ الدويُّ، ككثيرٍ من أبناء الزمان ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ لكونهم أعدى الأعادي، ولا تغترَّنَّ بظاهرهم.

وجوَّزَ الزمخشريُّ كونَ «عليهم» صلة «صيحة»، و«هم العدو» المفعول الثاني لـ «يحسبون» كما لو طرح الضمير، على معنى أنهم يحسبون الصيحةَ نفسَ العَدُوِّ[4]. وكان الظاهر عليه: هو أو هي العدوّ، لكنه أتى بضمير العقلاء المجموع لمراعاة معنى الخبر، أعني: العدوّ، بناءً على أنه يكون جمعاً ومفرداً، وهو هنا جمعٌ. وفيه أنه تخريجٌ متكلَّفٌ بعيدٌ جدًّا لا حاجة إليه، وإن كان المعنى عليه لا يخلو عن بلاغةٍ ولطف، ومع ذلك لا يساعد عليه ترتُّبُ «فاحذرهم»؛ لأنَّ التحذيرَ منهم يقتضي وَصْفَهم بالعداوة لا بالجبن.

---

(١) ديوان جرير ١/ ٥٣.

(٢) البيت في ديوانه ٣/ ٢٨٧.

(٣) الكَشْر: في الأسنان يكون في الضحك وغيره. القاموس المحيط (كشر).

(٤) الكشاف ٤/ ١٠٩.

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: لَعنَهم وطردهم، فإنَّ القتلَ قُصارى شدائد الدنيا وفظائعها، وكذلك الطردُ عن رحمة الله تعالى والبعدُ عن جنابه الأقدس منتهى عذابه عزَّ وجلَّ، وغاية نكاله جلَّ وعلا في الدنيا والآخرة. والكلامُ دعاءٌ وطَلَبٌ من ذاته سبحانه أن يلعنهم ويطردهم من رحمته تعالى، وهو من أسلوب التجريد، فلا يكون من إقامة الظاهر مقام الضمير؛ لأنه يفوتُ به نضارةُ الكلام، أو تعليمٌ للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك، فهو على معنى: قولوا: قاتلهم الله.

وجُوِّز أن لا يكونوا من الطلب في شيءٍ، بأن يكونَ المرادُ أنَّ وقوعَ اللَّعْنِ بهم مقرَّرٌ لا بدَّ منه. وذكر بعضُهم أنَّ «قاتله الله» كلمةُ ذَمٍّ وتوبيخ، وتستعملها العربُ في موضع التعجُّب من غير قَصْدٍ إلى لعن، والمشهورُ تعقيبها بالتعجُّب نحو: قاتله الله ما أشعره، وكذا قوله سبحانه هنا: «قاتلهم الله».

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ وهذا تعجيبٌ من حالهم، أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ إلى ما هم عليه من الكفر والضلال؟! فـ «أنَّى» ظرفٌ متضمِّنٌ للاستفهام، معمولٌ لما بعده، وجوَّز ابنُ عطيةَ كونه ظرفاً لـ «قاتلهم» وليس هناك استفهام[1]. وتعقَّبه أبو حيان بأنَّ «أنَّى» لا تكونُ لمجرَّدِ الظرفية أصلاً، فالقول بذلك باطل[2].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: عَطفوها، وهو كنايةٌ عن التكبُّر والإعراض على ما قيل؛ وقيل: هو على حقيقته، أي: حرَّكوها استهزاءً، وأخرجه ابن المنذر عن ابن جريج[3].

﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون عن القائل، أو عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ عن ذلك.

روي أنه لما صدَّق الله تعالى زيدَ بن أرقم فيما أخبر به عن ابن أبيّ، مَقَتَ الناسُ ابنَ أبيٍّ، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضُهم له: امضِ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٣.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٧٣.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٢٤.

واعترف بذنبك، يستغفر لك. فلوَّى رأسه إنكاراً لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليَّ بأن أعطي زكاةَ مالي ففعلت، ولم يبقَ لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد ﷺ(١).

وفي حديثٍ أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن جبير أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «تب»، فجعل يلوي رأسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ إلخ(٢).

وفي حديثٍ أخرجه الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن زيد، بعد نقل القصة إلى أن قال: حتى أنزل الله تعالى تصديقي في: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ ما نصُّه: فدعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، فَلَوَّوْا رؤوسهم(٣).

فَجَمْعُ الضمائر: إما على ظاهره، وإما من باب: بنو تميمٍ قتلوا فلاناً، و«إذا» على ما مرَّ، و«يستغفر» مجزومٌ في جواب الأمر، و«رسول الله» فاعلٌ له، والكلام ـ على ما في «البحر»(٤) ـ من باب الإعمال؛ لأنَّ «رسول الله» يطلبه عاملان: «يستغفر» و«تعالوا»، فأُعمل الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أُعمل الأولُ لكان التركيبُ: تعالوا يستغفرْ لكم إلى رسول الله.

وجملة «يصدُّون» في موضع الحال، وأتت بالمضارع ليدلَّ على الاستمرار التجدُّدي، ومثلها في الحالية جملةُ: «هم مستكبرون».

وقرأ مجاهدٌ ونافعٌ وأهلُ المدينة، وأبو حيوة وابن أبي عبلة والمفضل، وأبان عن عاصم، والحسن ويعقوب بخلافٍ عنهما: «لَوَوْا» بتخفيف الواو(٥)، والتشديدُ في قراءة باقي السبعة للتكثير.

---

(١) عزاه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٧٢ للثعلبي.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٢٤.

(٣) أحمد (١٩٣٣٤)، والبخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢)، والترمذي (٣٣١٤)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٤).

(٤) ٨/ ٢٧٣.

(٥) التيسير ص٢١١، والنشر ٢/ ٣٨٨ عن نافع وروح (راوية يعقوب)، والكلام من البحر ٨/ ٢٧٣.

ولمَّا نعى سبحانه عليهم إباءهم عن الإتيان ليستغفر لهم رسول الله ﷺ وإعراضَهم واستكبارَهم، أشارَ عزَّ وجلَّ إلى عدم فائدة الاستغفار لهم ـ لِمَا عَلِمَ سبحانه من سوء استعدادهم واختيارهم ـ بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فهو للتسوية بين الأمرين؛ الاستغفار لهم وعدمه، والمراد الإخبارُ بعدم الفائدة كما يُفصِحُ عنه قوله جلَّ شأنه: ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وتعليلُهُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ أي: الكاملين في الفسق، الخارجين عن دائرة الاستصلاح، المنهمكين لسوء استعدادهم بأنواع القبائح، فإنَّ المغفرةَ فرعُ الهداية. والمراد بهؤلاء القوم إما المحدَّثُ عنهم بأعيانهم، والإظهارُ في مقام الإضمار لبيان غُلُوِّهم في الفسق؛ والإشارة إلى عِلَّة الحكم، أو الجنس، وهم داخلون دخولاً أوَّليًّا.

والآيةُ في ابن أُبيٍّ كسوابقها كما سمعت، ولواحقها كما صحَّ وستسمعه قريباً إن شاء الله تعالى، والاستغفار لهم قيل: على تقدير مجيئهم تائبين معتذرين من جناياتهم، وكأن ذلك قد اعتُبر في جانب الأمر الذي جُزِمَ في جوابه الفعلُ، وإلا فمجرَّدُ الإتيان لا يَظْهَرُ كونُه سبباً للاستغفار، ويُومِئُ إليه قوله ﷺ في خبر ابن جبير لابن أُبيٍّ: «تب». وترك الاستغفار على تقدير الإصرار على القبائح والاستكبار وتَرْكِ الاعتذار، وحيث لم يكن منهم توبةٌ لم يكن منه عليه الصلاة والسلام استغفارٌ لهم.

وحكى مكِّي أنه ﷺ استغفرَ لهم لأنهم أظهروا له الإسلام، أي: بعد ما صَدَرَ منهم ما صَدَرَ بالتوبة.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما نزلت آيةُ «براءة»: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ﴾ [التوبة: ٨٠] إلخ، قال النبيُّ ﷺ: «أسمعُ ربِّي قد رخَّصَ لي فيهم، فواللهِ لأستغفرنَّ لهم أكثرَ من سبعين مرة، لعلَّ الله أن يغفر لهم» فنزلت هذه الآية: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ إلخ(١).

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٦٠١.

وأخرج أيضاً عن عروةَ نحوه[١]، وإذا صحَّ هذا لم يتأتَّ القولُ بأنَّ «براءة» بأسرها آخرُ ما نزل، ولا ضرورةَ تدعو لالتزامه إلا إن صحَّ نقلٌ غيرُ قابلٍ للتأويل. ولعلَّ هذه الآيةَ إشارةٌ منه تعالى لنبيِّه ﷺ إلى أنَّ المراد بالعدد هناك التكثير دون التحديد؛ ليكونَ حكمُ الزائد مخالفاً لحكم المذكور، فيكون المراد بالآيتين عند الله تعالى واحداً، وهو عدمُ المغفرة لهم مطلقاً. والآيةُ الأولى - فيما أختار - نزلتْ في اللَّامِزين كما سمعتَ هناك عن ابن عباس[٢]، وهو الأوفقُ بالسباق، وهذه نزلتْ في ابن أُبيٍّ وأصحابه كما نطقت به الأخبار الصحيحة، ويجمعُ الطائفتين النفاق، ولذا قال ﷺ ما قال مع اختلاف أعيان الذين نزلتا فيهم.

ثم إني لم أقف في شيءٍ مما أعوِّلُ عليه على أنَّ ابنَ أُبيٍّ كان مريضاً إذ ذاك، ورأيتُ في خبرٍ أخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين ما يُشعر بأنه بعد قوله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، بأيامٍ قلائلَ اشتكى واشتدَّ وَجَعُهُ، وفيه أنه قال للنبيِّ ﷺ وقد ذَهَبَ إليه بشفاعةِ ولده: حاجتي إذا أنا مِتُّ أن تشهد غسلي وتكفيني في ثلاثة أثوابٍ من أثوابك، وتمشي مع جنازتي، وتُصلِّي عليَّ. ففعل ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[٣] [التوبة: ٨٤].

ولا يُشْكِلُ الاستغفارُ إن كان قد وقع لأحدٍ من المنافقين بعد نزول ما يفيد كونه تعالى لا يهدي القومَ الفاسقين؛ إذ لا يتعيَّنُ اندراجُ كلٍّ منهم إلا بتبيُّن أنه بخصوصه من أصحاب الجحيم، كأنْ يموتَ على ما هو عليه من الكفر والنفاق.

وهذا الذي ذكرتُهُ هنا هو الذي ظهر لي بعد كتابة ما كتبتُ في آية «براءة»، والمقامُ بعدُ محتاجٌ إلى تحقيقٍ، فراجعْ وتأملْ، والله تعالى وليُّ التوفيق.

وقرأ أبو جعفر: «آستغفرتَ» بمدَّةٍ على الهمزة[٤]، فقيل: هي عِوَضٌ من همزة

(١) تفسير الطبري ١١/ ٥٩٩.
(٢) ينظر ما سلف ١٠/ ٤٤١.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٢٦.
(٤) النشر ٢/ ٣٨٨.

الوصل، وهي مثلُ المدَّة في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ [الأنعام: ١٤٣] لكنَّ هذه المدَّةَ في الاسم لئلّا يلتبس الاستفهام بالخبر، ولا يحتاجُ ذلك في الفعل؛ لأنَّ همزةَ الوصل فيه مكسورةٌ.

وعنه أيضاً ضَمُّ ميم: «عليهم» - إذ أصلها الضَّمُّ - وَوَصْلُ الهمزة[١].

وروى معاذُ بن معاذ العنبري عن أبي عمرو كسر الميم على أصل التقاء الساكنين، ووصل الهمزة[٢]، فتسقطُ في القراءتين، واللفظُ خبرٌ والمعنى على الاستفهام، وجاء حَذْفُ الهمزة ثقةً بدلالة «أم» عليها كما في قوله:

بسبعٍ رَمَينَ الجمرَ أم بثمان[٣]

وقال الزمخشريُّ: قرأ أبو جعفر: «آستغفرتَ» إشباعاً لهمزة الاستفهام؛ للإظهار والبيان، لا قَلْباً لهمزة الوصل أَلِفاً كما في «آلسحر» [يونس:٨١] و«آلله» [يونس:٥٩][٤].

وقال [ابن عطية: وقرأ][٥] أبو جعفر بن القعقاع بمدَّةٍ على الهمزة، وهي ألفُ التسويةِ، وقرأ أيضاً بوَصْل الألف دون همزةٍ على الخبر، وفي كلٍّ ذلك ضَعْفٌ؛ لأنه في الأولى أثبتَ همزةَ الوصل وقد أغنتْ عنها همزةُ الاستفهام، وفي الثانية حَذَفَ همزةَ الاستفهام وهو يريدها، وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لبعض ما يدلُّ على فِسْقهم، وجُوِّزَ أن يكونَ جارياً مجرى التعليل لعدم مغفرته تعالى لهم. وليس بشيءٍ؛ لأنَّ ذاك مُعلَّلٌ بما قبل.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٢٦٦، وصدره: فوالله ما أدري وإني لحاسبٌ. وسلف ١٦/ ١٦٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١١١.

(٥) ما بين حاصرتين من البحر ٨/ ٣٧٣، وعنه نقل المصنف، وكلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.

والقائلُ رأسُ المنافقين ابنُ أبيٍّ، وسائرهم راضُون بذلك، أخرج الترمذيُّ[(١)] وصححه، وجماعةٌ عن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا ناسٌ من الأعراب، فكنا نبتدرُ الماءَ، وكان الأعرابُ يسبقونا إليه، فيسبقُ الأعرابيُّ أصحابه فيملأ الحوض، ويجعلُ حوله[(٢)] حجارة، ويجعلُ النِّطْعَ عليه حتى يجيءَ أصحابه، فأتى رجلٌ من الأنصار أعرابيًّا فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يَدَعَهُ، فانتزع حجراً ففاض[(٣)]، فرفع الأعرابيُّ خشبةً فضربَ رأسَ الأنصاريِّ فشجَّه، فأتى عبدَ الله بن أبيٍّ ـ رأسَ المنافقين ـ فأخبره، وكان من أصحابه، فغضب، وقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله، يعني الأعراب، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعزُّ منها الأذلَّ، قال زيد: وأنا رِدْفُ عمِّي[(٤)]، فسمعتُ عبدَ الله، فأخبرتُ عمِّي، فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام فَحَلَفَ وجَحَدَ، وصدَّقه ﷺ وكذَّبني، فجاء عمِّي إليَّ فقال: ما أردتَ إلى أن مقتكَ وكذَّبك المسلمون، فَوَقَعَ عليَّ من الهمِّ ما لم يقع على أحدٍ قطّ، فبينا أنا أسير وقد خفضت رأسي[(٥)] من الهمِّ، إذ[(٦)] أتاني رسول الله ﷺ فَعَرَكَ أذني وضَحِكَ في وجهي، ثم إنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً إلا أنه عَرَكَ أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشرْ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ حتى بلغ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. وقد تقدم عن البخاريِّ

---

(١) برقم (٣٣١٣)، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٥٠٤١)، والحاكم ٢/ ٤٨٨-٤٨٩، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٥٤-٥٥.

(٢) في الأصل و(م): حوضه. والمثبت من المصادر.

(٣) كذا في الأصل و(م) والمستدرك والدلائل، وجاء في مطبوع سنن الترمذي وعارضة الأحوذي ١٢/ ٢٠٢، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢١٥، وجامع الأصول ٢/ ٣٩٣: فانتزع قباضَ الماء، وفي المعجم الكبير: فانتزع حجراً فغاض الماء. وكذا نقله ابن كثير عن الترمذي، ومثله في الدر المنثور ٦/ ٢٢٢.

(٤) في سنن الترمذي: وأنا ردف رسول الله ﷺ.

(٥) في المصادر: خفقت برأسي.

(٦) في (م): إذا.

ما يدلُّ على أنه قائل ذلك أيضاً[١]. وأخرج الإمام أحمد ومسلم والنسائي نحو ذلك[٢]، والأخبار فيه أكثرُ من أن تحصى.

وتلك الغَزاةُ التي أشار إليها زيدٌ، قال سفيان: يرون أنها غزاة بني المصطلق، وفي «الكشاف»[٣] خبرٌ طويلٌ في القصة يُفهَمُ منه أنهم عَنوا بمَنْ عند رسول الله فقراءَ المهاجرين.

والظاهرُ أنَّ التعبير بـ «رسول الله» ـ أي: بهذا اللفظ ـ وَقَعَ منهم، ولا يأباهُ كُفْرهم؛ لأنهم منافقون مقرُّون برسالته عليه الصلاة والسلام ظاهراً.

وجُوِّزَ أن يكونوا قالوه تهكُّماً، أو لغلبته عليه ﷺ حتى صار كالعَلَم، لم يُقصَدْ منه إلا الذات، ويحتَملُ أنهم عبَّروا بغير هذه العبارة، فغيَّرها الله عزَّ وجلَّ إجلالاً لنبيِّه عليه الصلاة والسلام وإكراماً.

والانفضاضُ: التفرُّق، و«حتى» للتعليل، أي: لا تنفقوا عليهم كي يتفرَّقوا عنه عليه الصلاة والسلام ولا يصحبوه.

وقرأ الفضل بن عيسى الرقاشي: «يُنْفِضُوا»[٤] من أنْفَضَ القومُ: فَنِيَ طعامهم، فَنَفَضَ الرجلُ وعاءه، والفعل مما يتعدَّى بغير الهمزة وبالهمزةِ لا يتعدَّى، قال في «الكشاف»[٥]: وحقيقته: حان لهم أن يَنْفُضُوا مزاوِدَهُم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رَدٌّ وإبطالٌ لما زعموا من أنَّ عدم إنفاقهم على من عند رسول الله ﷺ يؤدِّي إلى انفضاضهم عنه عليه الصلاة والسلام، ببيان أنَّ خزائنَ الأرزاق بيد الله تعالى خاصةً، يُعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه عزَّ وجلَّ، ولذلك يقولون من مقالات الكفرة ما يقولون.

---

(١) ينظر ص١٦٨ من هذا الجزء.
(٢) أحمد (١٩٣٣٣)، ومسلم (٢٧٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٥٣٤).
(٣) ٤/ ١١٠.
(٤) الكشاف ٤/ ١١١، والمحرر ٥/ ٣١٤، والبحر ٨/ ٢٧٤.
(٥) ٤/ ١١١.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ قائله كما سمعتَ ابنُ أُبَيٍّ، وعنى بالأعزِّ نفسَهُ أو: مَنْ يلوذُ به، وبالأذلِّ مَنْ أعزَّه الله عزَّ وجلَّ، وهو الرسول ﷺ، أو: هو عليه الصلاة والسلام والمؤمنون، وإسنادُ القول المذكور إلى جميعهم لرضائهم به كما في سابقه.

وقرأ الحسن وابن أبي عبلةَ والمسيبي[1] في اختياره: «لَنُخرِجَنَّ» بالنون، ونصب «الأعزّ» و«الأذلّ»[2] على أنَّ «الأعزَّ» مفعولٌ به، و«الأذلَّ» إما حالٌ بناءً على جواز تعريف الحال، أو زيادة «أل» فيه نحو:

أرسلها العِراك[3] . . . .

و: ادخُلوا الأوَّلَ فالأوَّل، وهو المشهورُ في تخريج ذلك، أو حالٌ بتقدير: مثل، وهو لا يتعرَّفُ بالإضافة، أي: مِثْلَ الأذل، أو مفعول به لحالٍ محذوفة، أي: مُشْبِهاً الأذلَّ، أو مفعول مطلق على أنَّ الأصلَ: إخراجَ الأذلِّ، فحُذف المصدر المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فانتصب انتصابَه.

وحكى الكسائيُّ والفراءُ أنَّ قوماً قرؤوا: «لَيَخرُجَنَّ» بالياء مفتوحة وضمّ الراء، ورَفْع «الأعزُّ» على الفاعلية، ونَصْبِ «الأذلَّ» على ما تقدم[4]، بيد أنك تُقدِّرُ على تقدير النصب على المصدرية: خروجَ. وقرئَ: «لَيُخْرَجَنَّ» بالياء مبنيًّا للمفعول، ورفع «الأعزُّ» على النيابة عن الفاعل، ونصب «الأذلّ» على ما مرَّ[5].

وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني: «لَنَخْرُجَنَّ» بنون الجماعة مفتوحةً وضمِّ

---

(١) في الأصل و(م): والسبتي، والمثبت هو الصواب، ينظر الدر المصون ١٠/ ٣٤٣.
والمسيبي هو إسحاق بن محمد المخزومي المدني، من جلة أصحاب نافع المحققين. معرفة القراء الكبار ١/ ٣١٢
(٢) القراءات الشاذة ص١٥٧، والكشاف ٤/ ١١١، والبحر ٨/ ٢٧٤.
(٣) قطعة من بيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في ديوانه ص٨٦ برواية:
فأوردها العِراكَ ولم يَذُدْهَا ... ولم يُشفق على نَغَص الدِّخال
(٤) القراءات الشاذة ص١٥٧، والبحر ٨/ ٢٧٤.
(٥) البحر المحيط ٨/ ٢٧٤.

الراء، ونَصْب «الأعزّ» و«الأذلّ» وحكى هذه القراءةَ أبو حاتم[١]، وخُرِّجتْ على أنَّ نَصْبَ «الأعزّ» على الاختصاص كما في قولهم: نحن العربَ أقرى الناس للضيف، ونَصْبَ «الأذلّ» على أحد الأوجه المارَّة فيما حكاه الكسائي والفرَّاء، والمقصود إظهارُ التضجُّر من المؤمنين، وأنهم لا يمكنهم أن يُساكنوهم في دار. كذا قيل، وهو كما ترى، ولعلَّ هذه القراءة غيرُ ثابتةٍ عن الحسن.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ رَدٌّ لما زعموه ضِمْناً من عِزَّتهم وذلِّ مَنْ نسبوا إليه الذِّلَّ، وحاشاه منه، أي: ولله تعالى الغَلَبةُ والقوَّةُ، ولمن أعزَّهُ الله تعالى من رسوله ﷺ والمؤمنين لا للغير، ويُعلَم مما أشرنا إليه توجيه الحصر المستفاد من تقديم الخبر. وقيل: إنَّ العَطْفَ معتَبرٌ قبل نسبة الإسناد، فلا ينافي ذلك، ولا يضرُّ إعادةُ الجارِّ؛ لأنها ليست لإفادة الاستقلال في النسبة، بل لإفادة تفاوت ثبوت العزة، فإنَّ ثبوتها لله تعالى ذاتيٌّ، وللرسول ﷺ بواسطة الرسالة، وللمؤمنين بواسطة الإيمان، وجاء من عِدَّة طُرقٍ أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ - وكان مخلصاً - سلَّ سيفَهُ على أبيه عندما أشرفوا على المدينة، فقال: واللهِ عليَّ أن لا أغمده حتى تقولَ: محمدٌ الأعزُّ وأنا الأذلُّ. فلم يبرحْ حتى قال ذلك[٢].

وفي رواية أنه ﷺ وَقَفَ والناسُ يدخلون حتى جاء أبوه، فقال: وراءك، قال: ما لك ويلك؟! قال: واللهِ لا تدخلها أبداً إلا أن يأذن رسول الله ﷺ، ولتعلمنَّ اليومَ الأعزَّ من الأذلّ، فرجع حتى لقي رسولَ الله ﷺ فشكا إليه ما صنع ابنه، فأرسل إليه النبيُّ ﷺ أن خَلِّ عنه يدخلْ. ففعل[٣].

وصحَّ من رواية الشيخين والترمذي وغيرهم عن جابر بن عبد الله أنه لما بلغ رسولَ الله ﷺ ما قال ابنُ أبيٍّ قام عمر ﷺ، فقال: يا رسولَ الله دعني أضرب عنقَ

---

(١) المصدر السابق.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣١٥) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه ابن شبَّة في تاريخ المدينة ١/ ٣٦٦ - ٣٦٧. عن محمد بن سيرين مرسلاً.

هذا المنافق؟ فقال النبيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لا يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يقتل أصحابه»(١).

وفي روايةٍ عن قتادة أنه قال له عليه الصلاة والسلام: يا نبيَّ الله، مُرْ معاذاً أن يضربَ عنقَ هذا المنافق، فقال ﷺ ذلك(٢).

وفي الآية من الدلالة على شَرَفِ المؤمنين ما فيها، ومن هنا قالت بعض الصالحات وكانت في هيئةٍ رَثَّة: ألستُ على الإسلام، وهو العِزُّ الذي لا ذُلَّ معه، والغنى الذي لا فَقْرَ معه(٣).

وعن الحسن بن عليٍّ على رسول الله وعليهما الصلاة والسلام أنَّ رجلاً قال له: إنَّ الناسَ يزعمون أنَّ فيك تِيهاً؟ قال: ليس بتيهٍ، ولكنه عِزَّة. وتلا هذه الآية(٤). وأريد بالتِّيه الكِبْر، وأشارَ الخبر(٥) إلى أنَّ العِزَّةَ غيرُ الكِبْر، وقد نصَّ على ذلك أبو حفص السهروردي قُدِّسَ سِرُّه، فقال: العِزَّةُ غيرُ الكبر؛ لأنَّ العِزَّة معرفةُ الإنسان بحقيقة نفسه، وإكرامُها أن لا يضعها لأقسامٍ عاجلة، كما أنَّ الكبر جهلُ الإنسان بنفسه، وإنزالها فوق منزلتها، فالعِزَّةُ ضد الذِّلة، كما أنَّ الكبر ضدّ التواضع.

وفسَّر الراغبُ العِزَّةَ بحالةٍ مانعةٍ للإنسان من أن يُغلَبَ، مِن قولهم: أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبَةٌ، وتعزَّزَ اللحمُ: اشتدَّ، كأنه حَصَلَ في عَزازٍ يصعبُ الوصولُ إليه، وقد تُستعار للحَمِيَّةِ والأنفة المذمومة(٦). وهي بهذا المعنى تَثْبُتُ للكَفَرة، وتفسيرها بالقوة والغلبة كما سمعتَ شائعٌ، ولك أن تُريدَ بها هنا الحالةَ المانعةَ من المغلوبية، فإنها أيضاً ثابتةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين على الوجه اللائق بكلٍّ.

---

(١) البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) (٦٣)، والترمذي (٣٣١٥)، وهو عند أحمد (١٥٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة ١/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٦ عن رابعة العدوية.

(٤) الكشاف ٤/ ١١١.

(٥) في (م): العز.

(٦) المفردات (عزّ).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ من فرط جهلهم وغرورهم، فيهذون ما يهذون، والفعلُ هنا مُنزَّلٌ منزلةَ اللازم، فلذا لم يُقدَّرْ له مفعولٌ، ولا كذلك الفعلُ فيما تقدم، وهو ما اختاره غيرُ واحدٍ من الأجلَّة، وقيل في وجهه: إنَّ كَونَ العِزَّة لله عزَّ وجلَّ مستلزمٌ لكون الأرزاق بيده دون العكس، فناسَبَ أن يعتبر الإطلاق[1] في الجملة المذيِّلة لِمَا يفيد كونَ العزَّة له سبحانه قَصْداً للمبالغة، والتقييد للجملة المذيِّلة لِمَا يفيد كونَ الأرزاق بيده تعالى.

ثم قيل: خصَّ الجملةَ الأولى بـ «لا يفقهون» والثانية بـ «لا يعلمون»؛ لأنَّ إثباتَ الفقه للإنسان أبلغُ من إثبات العلم له، فيكون نفيُ العلم أبلغَ من نفي الفقه، فأُوثر ما هو أبلغُ لِمَا هو أَدْعَى له.

وعن الراغب: معنى قوله تعالى: (هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟) إلخ، أنهم يأمرون بالإضرار بالمؤمنين، وحبسِ النفقات عنهم، ولا يفطنون أنهم إذا فعلوا ذلك أَضرُّوا بأنفسهم، فهم لا يفقهون ذلك ولا يفطنون له، ومعنى الثاني إيعادهم بإخراج الأعزِّ للأذلِّ، وعندهم أنَّ الأعزَّ مَنْ له القوَّةُ والغلبةُ على ما كانوا عليه في الجاهلية، فهم لا يعلمون أنَّ هذه القدرةَ التي يَفضُلُ بها الإنسانُ غيرَهُ إنما هي من الله تعالى، فهي له سبحانه ولمن يخصُّهُ بها من عباده، ولا يعلمون أنَّ الذُّلَّ لمن يقدرون فيه العِزَّة، وأنَّ الله تعالى مُعِزُّ أوليائه بطاعتهم له، ومُذلُّ أعدائه بمخالفتهم أمره عزَّ وجلَّ، فقد اختصَّ كلّ آيةٍ بما اقتضاه معناها، فتدبَّر.

والإظهارُ في مقام الإضمار لزيادة الذَّمِّ مع الإشارة إلى عِلَّة الحكم في الموضعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يشغلكم الاهتمامُ بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها، عن الاشتغال بذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ، من الصلاة وسائر العبادات المذكِّرة للمعبود الحقِّ جلَّ شأنه، فذِكْرُ الله تعالى مجازٌ عن مطلق العبادة كما يقتضيه كلامُ الحسن وجماعة، والعلاقةُ السببيةُ؛

(١) في (م): الأخلاق.

لأنَّ العبادةَ سببٌ لذِكْره سبحانه، وهو المقصودُ في الحقيقة منها.

وفي روايةٍ عن الحسن أنَّ المرادَ به جميعُ الفرائض. وقال الضحاك وعطاء: الذِّكْرُ هنا الصلاةُ المكتوبة. وقال الكلبيُّ: الجهادُ مع الرسول ﷺ. وقيل: القرآن. والعمومُ أولى.

ويُفهِمُ كلامُ «الكشاف»[1] أنَّ المرادَ بالأموال والأولاد الدنيا، وعبَّر بهما عنها لكونهما أرغبَ الأشياء منها، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فإذا أُريد بذِكْر الله العموم، يَؤُولُ المعنى إلى: لا تشغلنَّكم الدنيا عن الدين، والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهيُ المخاطبين، وإنما وُجِّهَ إليها للمبالغة؛ لأنها لقوَّة تسبُّبها لِلَّهو، وشِدَّة مدخليَّتها فيه، جُعلتْ كأنها لاهيةٌ وقد نُهيت عن اللهو، فالأصل: لا تلهوا بأموالكم.. إلخ، فالتجوُّزُ في الإسناد.

وقيل: إنه تجوُّزٌ بالسبب عن المسبَّب، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢] أي: لا تكونوا بحيث تُلهيكم أموالكم.. إلخ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اللهو بها، وهو الشغل، وهذا أبلغُ مما لو قيل: ومن تُلْهِهِ تلك.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ حيث باعوا العظيمَ الباقي بالحقير الفاني. وفي التعريف بالإشارة والحَصْر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل، ما لا يخفى من المبالغة، وكأنه لمَّا نُهي المنافقون عن الإنفاقِ على مَنْ عند رسول الله ﷺ وأُريد الحثُّ على الإنفاق، جعل قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟) إلخ تمهيداً وتوطئةً للأمر بالإنفاق، لكن على وجه العموم في قوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أي: بعضَ ما أعطيناكم وتفضَّلنا به عليكم من الأموال ادِّخاراً للآخرة.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أماراته ومقدِّماته، فالكلامُ على تقدير مضاف، ولذا فُرِّعَ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ أي: أمهلتني

(١) ٤/ ١١١.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ أي: أمدٍ قصيرٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ أي: فأتصدقَ، وبذلك قرأ أبيٌّ وعبد الله وابن جبير[١]، ونَصْبُ الفعل في جواب التمنِّي.

والجزمُ في قوله سبحانه: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ بالعَطْف على موضع «فأصَّدَّق» كأنه قيل: إن أخَّرتني أَصَّدَّقْ وأكنْ، وإلى هذا ذهب أبو عليٍّ الفارسي والزجَّاج[٢]، وحكى سيبويه عن الخليل أنه على توهُّم الشرط الذي يدلُّ عليه التمنِّي؛ لأنَّ الشرطَ غيرُ ظاهرٍ ولا يُقدَّرُ حتى يُعتبرَ العَطْفُ على الموضع كما في قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] فيمن قرأ بالجزم[٣]، وهو حَسَنٌ بَيْدَ أنَّ التعبيرَ بالتوهُّم هنا ينشأ منه توهُّمٌ قبيحٌ، والفرقُ بين العطف على الموضع والعطف على التوهُّم أنَّ العاملَ في العطف على الموضع موجودٌ وأثره مفقودٌ، والعاملَ في العطف على التوهُّم مفقودٌ وأثره موجود.

واستُظْهِر أنَّ الخلافَ لفظيٌّ، فمراد أبي عليٍّ والزجَّاج العطفُ على الموضع المتوهَّم، أي: المقدَّر؛ إذ لا موضعَ هنا في التحقيق، لكنهما فرَّا من قُبْحِ التعبير.

وقرأ الحسن وابن جبير وأبو رجاء وابن أبي إسحاق ومالك بن دينار والأعمش وابن محيصن وعبد الله بن الحسن العنبري وأبو عمرو: «وأكونَ» بالنصب[٤]، وهو ظاهرٌ. وقرأ عبيد بن عمير: «وأكونُ» بالرفع على الاستئناف[٥]، والنحويُّون وأهلُ المعاني قدَّروا المبتدأ في أمثال ذلك من الأفعال المستأنفة، فيقال هنا: أي: وأنا أكونُ. ولا تراهم يُهملون ذلك، ووُجِّهَ بأنَّ ذلك لأنَّ الفعلَ لا يصلحُ للاستئناف مع الواو الاستئنافية كما هنا، ولا بدونها، وتُعقِّبَ بأنه لم يذهبْ إلى عدم صلاحيته لذلك أحدٌ من النحاة، وكأنه لهذا صرَّحَ العلامةُ التفتازانيُّ بأنَّ التزامَ التقدير مما لم يظهر له وجهه. وقيل: وجههُ أنَّ الاستئنافَ بالاسميَّة أظهرُ. وهو كما ترى.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٧، والمحرر ٥/ ٣١٥، والبحر ٨/ ٢٧٥.

(٢) الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٩٣، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ١٧٨.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو، ينظر التيسير ص١١٥، والنشر ٢/ ٢٧٣.

(٤) التيسير ص٢١١، والنشر ٢/ ٣٨٨ عن أبي عمرو، والكلام من البحر ٨/ ٢٧٥.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٢٧٥.

وجُوِّزَ كونُ الفعل على هذه القراءة مرفوعاً بالعطف على «أَصَّدَّق» على نحو القولين السابقين في الجزم.

هذا، وعن الضحاك أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ يعني الزكاة والنفقة في الحجِّ. وعليه قولُ ابن عباس فيما أخرج عنه ابن المنذر[(١)]: «فأصدق» أزكِّي «وأكن من الصالحين» أَحُجُّ.

وأخرج الترمذيُّ وابن جرير والطبرانيُّ وغيرهم عنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له مالٌ يُبلِّغه حَجَّ بيت رَبِّه، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعلْ، سألَ الرجعةَ عند الموت» فقال له رجل: يا ابن عباس، اتَّقِ اللهَ تعالى، فإنما يسألُ الرجعةَ الكفارُ؟ فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآناً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة، كذا في «الدر المنثور»[(٢)].

وفي «أحكام القرآن» رواية الترمذيِّ عنه ذلك موقوفاً عليه[(٣)].

وحكى عنه في «البحر»[(٤)] وغيره أنه قال: إنَّ الآيةَ نزلتْ في مانع الزكاة، ووالله لو رأى خيراً لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله تعالى، يسألُ المؤمنون الكرَّةَ؟! فأجاب بنحو ما ذكر.

ولا يخفى أنَّ الاعتراضَ عليه، وكذا الجواب أوفقُ بكونه نفسه ادَّعى سؤالَ الرجعة، ولم يرفع الحديث بذلك.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٢٦.
(٢) ٦/ ٢٢٦، وينظر التعليق الذي بعده.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٠١، والإكليل للسيوطي (ويسميه المصنف: أحكام القرآن) ص٢٦٤. وقد أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً (٣٣١٦)، وهو في تفسير الطبري ٢٢/ ٦٧٢ موقوفاً، وفي المعجم الكبير (١٢٦٣٥) مرفوعاً. وكلاهما من طريق أبي جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس. والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأبو جناب قال عنه الترمذي: ليس بالقوي في الحديث.
(٤) ٨/ ٢٧٤.

وإذا كان قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ إلخ، سؤالاً للرجعة بمعنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، لم يحتجْ قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى تقدير مضافٍ كما سمعتَ آنفاً.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ أي: ولن يمهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾ أي: آخرُ عمرها، أو انتهى الزمانُ الممتدُّ لها من أول العمر إلى آخره على تفسير الأجل به.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ فمُجازٍ عليه. وقرأ أبو بكر بالياء آخر الحروف[1]، ليوافقَ ما قبله في الغَيبة. و«نفساً» لكونها نكرة في سياق النفي في معنى الجمع.

واستدلَّ الكيا[2] بقوله تعالى: «وأنفقوا» إلخ على وجوب إخراج الزكاة على الفور ومنع تأخيرها.

ونُسبَ للزمخشري أنه قال: ليس في الزجر عن التفريط في هذه الحقوق أعظم من ذلك، فلا أحدَ يُؤخِّر ذلك إلا ويجوز أن يأتيه الموتُ عن قريبٍ، فيلزمه التحرُّزُ الشديدُ عن هذا التفريط في كلِّ وقت[3].

وقد أبطلَ الله تعالى قولَ المجبِّرة من جهات: منها قوله تعالى: «وأنفقوا»، ومنها أنه إن كان قبلَ حضور الموت لم يَقْدِرْ على الإنفاق، فكيف يتمنَّى تأخيرَ الأَجَل؟ ومنها قوله تعالى مُؤيِّساً له في الجواب: «ولن يؤخر الله» ولولا أنه مختارٌ لأُجيب باستواء التأخير والموت حين التمنِّي، وأجيب بأنَّ أهلَ الحقِّ لا يقولون بالجبر، فالبحثُ ساقطٌ عنهم، على أنه لا دلالةَ في الأول كما في سائر الأوامر كما حُقِّقَ في موضعه، والتمنِّي - وهو متمسَّكُ الفريق - لا يصحُّ الاستدلالُ به، والقولُ المؤيِّسُ إبطالٌ لتمنِّيهم، لا جوابٌ عنه؛ إذ لا استحقاقَ لوضوح البطلان، والله تعالى أعلم.

---

(١) التيسير ص٢١١، والنشر ٢/ ٣٨٨.
(٢) في أحكام القرآن له ٢/ ٤١٧، ونقله المصنف عنه بواسطة السيوطي في الإكليل ص٢٦٤.
(٣) ينظر الكشاف ٤/ ١١٢.

(سورة المنافقين)

(مدنيّة إحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أرادوا شهادة (واطأت) فيها قلوبهم ألسنتهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ أي والله يعلم أن الأمر كما يدلّ عليه قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ادّعاء المواطأة أو إنهم لكاذبون فيه لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة، أو إنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة المنافقون، مدنية) بالإجماع (إحدى عشرة آية) بلا خلاف ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله:** (واطأت) **في المصباح** المواطأة الموافقة. اهـ.

﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ عن الإسلام بالتنفير وإلقاء الشبه ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من نفاقهم وصدّهم الناس عن سبيل الله. وفي «ساء» معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالًا ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ بسبب أنهم ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالأيمان أي ذلك كله بسبب أنهم آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل مَن يدخل في الإسلام، ثم كفروا، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًّا فنحن حمير ونحو ذلك، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: الآية ١٤] الآية. ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فختم عليها حتى لا يدخلها الإيمان جزاء على نفاقهم ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ لا يتدبرون أو لا يعرفون صحة الإيمان.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾

والخطاب في ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ لرسول الله أو لكل مَن يخاطب ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ كان ابن أبيّ رجلًا جسيمًا (**صبيحًا**) فصيحًا، وقوم من المنافقين في مثل صفته، فكانوا يحضرون مجلس النبيّ ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، فكان النبيّ ﷺ ومَن حضر (**يعجبون بهياكلهم**) ويسمعون إلى كلامهم. وموضع ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ﴾ رفع على «هم كأنهم خشب»، (**أو هو كلام مستأنف لا محل له**) ﴿مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ إلى الحائط، شبهوا في

قوله: (صبيحًا) في المصباح صبح الوجه بالضم صباحة أشرق وأنار فهو صبيح.اهـ. **قوله**: (**يعجبون بهياكلهم**) الهيكل في الأصل البناء المشرف والحكماء تستعمله للبناء المعدّ للأصنام ويراد به مجازًا الأجسام القويّة والضخم من كل شيء. **قوله**: (**أو هو كلام مستأنف لا محل له**) لم يرد بالاستيناف ما هو جواب

استنادهم ـ وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير ـ بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكًا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع، أو لأنهم أشباح بلا أرواح وأجسام **(بلا أحلام،** ﴿خُشْبٌ﴾ **أبو عمرو غير عباس وعلي جمع خشبة كبدنة وبُدْن وخشب كثمرة وثمر)** ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ مفعول أول والمفعول الثاني ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وتمّ الكلام أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارّة لهم لخيفتهم ورعبهم يعني إذا نادى منادٍ في العسكر **(أو انفلتت دابّة أو أنشدت ضالّة)** ظنّوه إيقاعًا بهم. ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء العدو **(المداجي)** الذي **(يكاشرك)** وتحت ضلوعه **(الداء الدوي)** ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تغترر بظاهرهم ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم وضلالتهم.

السؤال. **قوله**: **(بلا أحلام)** أي عقول واحدها حِلْم بالكسر. **قوله**: (﴿خُشْبٌ﴾) بسكون الشين **(أبو عمرو غير عباس)** به ثلاث روايات رواية العباس بن الفضل ورواية شجاع بن أبي نصير ورواية اليزيدي يحيىٰ بن المبارك **(وعليّ)** الكسائي **(جمع خشبة كبَدنة وبُدْن)** وقرأ الباقون بضمها. **قوله**: **(وخشب)** بضمتين **(كثمرة وثمر)** أي ومَن قرأه بضمتين جعله جمع خشبة أيضًا نحو ثمرة وثمر. **قوله**: **(أو انفلتت دابة)** في المغرب الانفلات خروج الشيء فَلْتَةً أي بغتة.اهـ. **قوله**: **(أو أنشدت ضالة) في لسان العرب** نَشَدْتُ الضالة إذا ناديتَ وسألتَ عنها ابنَ سيده نشد الضالة ينشدها نِشْدَةً ونِشْدَانًا طلبها وعَرّفها، وأنشدها عرّفها. ويُقال أيضًا: نشدتها إذا عرّفتَها.اهـ.

قوله: **(المداجي)** في لسان العرب **(المُداجاة)** المداراة. **قوله**: **(يكاشرك) في لسان العرب** الكشْر بُدُوّ الأسنان عند التبسّم.اهـ. وأيضًا فيه كاشره إذا ضحك في وجهه وباسطه.اهـ. **قوله**: **(الداء) في لسان العرب** الداء اسم جامع لكل مَرض وعيب ظاهر أو باطن.اهـ. **قوله**: **(الدّوِيّ)** أي فيه داء وهو منسوب إلى دوٍ من دَوِي بالكسر يَدْوي أي مرض كذا في لسان العرب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا (﴿لَوَوْا﴾ **بالتخفيف: نافع**) ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار والاستغفار. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ حين لقي **(بني المصطلق)** على **(المريسيع)** - وهو ماء لهم - وهزمهم وقتلهم، ازدحم على الماء **(جهجاه)** بن سعيد - **(أجير لعمر - وسنان الجهني)** - حليف لابن أبي - واقتتلا، فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين، وسنان: يا للأنصار، فأعان جهجاهًا **(جعال)** - من

قوله: (﴿لَوَوْا﴾ **بالتخفيف**) أي بتخفيف الواو الأولى من لوى مخففًا **(نافع)** والباقون بالتشديد على التكثير من لوّى الرباعي. **قوله**: **(بني المصطلق)** بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي المخففة. قال في القاموس: حيّ من الأزد وسموا بذلك لأنهم تخزعوا أي تخلفوا عن قومهم وأقاموا بمكة وسُمِيَ جذيمة بالمصطلق لحسن صوته، وهو أول مَن غنى من خزاعة والأصل في مصطلق مصتلق بالتاء الفوقية فأُبدلت طاء لأجل الصاد. **قوله**: **(المريسيع)** بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتية وكسر السين المهملة بعدها تحتية ساكنة فعين مهملة. **قوله**: **(جهجاه)** بن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفاري وهو أول من أهل المدينة. روَى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد مع النبيّ ﷺ بيعة الرضوان. **قوله**: **(أجير لعمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقود له فرسه. **قوله**: **(وسنان)** بن وَبَر **(الجهني)** ويُقال: وَبْرَة. **قوله**: **(جِعالٌ) في الإصابة في تمييز الصحابة** للحافظ ابن حجر العسقلانيّ شارح البخاري رحمة الله عليه قد ذكر موسى بن عقبة في المغازي في غزوة بني المصطلق وكان في أصحاب النبيّ ﷺ رجل يقال له: جعال وهو زعموا أنه أحد بني ثعلبة ورجل من بني غفار يقال له: جهجاه فعلت أصواتهما فذكر قصة فيها طول. وقال ابن إسحٰق في المغازي لما غزى رسول الله ﷺ بني المصطلق سنة ست استعمل على المدينة جعالًا الضمريّ فهذا مغاير لقول موسى بن عقبة أنه كان معهم في غزاة بني المصطلق ويتعيّن في طريق الجمع بينهما أن يقال: هما اثنان انتهت بحروفها.

فقراء المهاجرين ـ و(لطم) سنانًا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال: ما صحبنا محمدًا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ، عني بالأعزّ نفسه وبالأذلّ رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: والله لو أمسكتم عن جعال (وذويه) فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد. فسمع بذلك (زيد بن أرقم وهو حدث) فقال: أنت والله الذليل المبغض في قومك، ومحمد على رأسه تاج المعراج في عزّ من الرحمـٰن وقوّة من المسلمين، فقال عبد الله: اسكت (فإنما كنت ألعب). فأخبر زيد رسول الله ﷺ فقال عمر ﷺ: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله. فقال: (إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب). قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريًا. قال: فكيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه. وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك وإن زيدًا لكاذب فهو قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسىٰ أن يكون قد وَهِم. فلما نزلت قال رسول الله ﷺ لزيد: يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين. فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوىٰ رأسه فقال: أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت وما بقي لي إلا أن أسجد لمحمد، فنزل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ولم يلبث إلا أيامًا حتى اشتكى ومات.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ أي ما داموا على النفاق. والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا

قوله: (لطم) من باب ضرب أي ضرب بباطن كفّها. **قوله**: (وذويه) أي أصحابه من الفقراء. **قوله**: (زيد بن أرقم) الأنصاريّ الخزرجيّ صحابيّ مشهور. **قوله**: (وهو حَدَث) أي غلام حديث السن. **قوله**: (فإنما كنتُ ألعب) بصيغة المتكلّم. **قوله**: (إذن تُرْعَدُ أَنُفٌ كثيرة بيثرب) أُنُف بالمدّ وهو جمع أنف قيل: هو عبارة عن الاضطراب والخوف أو عن غضب الرؤساء ويثرب اسم للمدينة.

يعتدّون به لكفرهم، أو لأن الله لا يغفر لهم. (وقرىء ﴿استغفرت﴾ على حذف حرف الاستفهام) لأن «أم» المعادلة تدلّ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرّقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي وله الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبىٰ أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولمن أعزّه الله وأيّده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصّاء بذلك كما أن المذلّة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين. وعن بعض الصالحات وكانت في (هيئة رثة): ألست على الإسلام وهو العزّ الذي لا ذلّ معه، والغني الذي لا فقر معه! (وعن الحسن بن علي) ﵄ أن رجلًا قال له: إن الناس يزعمون (إن فيك تيهًا). قال: ليس بتيه ولكنه عزّة وتلا هذه الآية ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (وقرىء ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ **على حذف حرف الاستفهام) في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب** ومن ذلك قراءة أبي جعفر «آستغفرت» بالمدّ. ورُوِيَ عنه «استغفرت» بالوصل، قال أبو الفتح: هاتان القراءتان كلتاهما مضعوفتان. اهـ. وقرأ الجمهور ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بفتح الهمزة من غير مدّ وهي همزة الوصل محذوفة.

قوله: (هيئة رَثّة) **في المغرب** رَثّ الثوبُ بَلِيَ وثوبٌ رثٌّ وهيئة رثّة ورَثاثة الهيئة خُلُوقة الثِيَاب وسوءُ الحال. اهـ. **قوله**: (**وعن الحسن بن عليّ**) بن أبي طالب الهاشميّ سبط رسول الله ﷺ وريحانته وقد صحبه وحفظ عنه. مات شهيدًا بالسم سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. **قوله**: (**إن فيك تيهًا**) والتِيْه بالكسر الكبر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ ﴿٩﴾﴾ لا تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ﴾ والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها (**بالنماء**) وطلب (**النتاج**) ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ وسروركم بهم وشفقتكم عليهم (**والقيام بمؤنهم**) ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الصلوات الخمس أو عن القرآن ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يريد الشغل بالدنيا عن الدين. وقيل: من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن إصلاح معاده ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ في تجارتهم حيث باعوا الباقي بالفاني.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ «من» للتبعيض والمراد بالإنفاق الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ (**أي من قبل أن يرى دلائل الموت**) ويعاين ما ييأس معه من

قوله: (**بالنماء**) **في المغرب** النَّماء بالمدّ الزيادة والقصر بالهمزة خطأ. اهـ. **قوله**: (**النتاج**) في المصباح النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها. اهـ. **قوله**: (**والقيام بمؤنهم**) **في المغرب** المَؤُونة الثِقْل فَعُوْلَة من مَأَنْتُ القوم إذا احتملت مُؤْنَتَهُم، وقيل: العُدَّة من قولهم: أتاني هذا الأمر وما مأنتُ له مَأْنًا إذا لم تَسْتَعِدَّ له. وقيل: إنها من مُنْتُ الرجل أمُوْنُه والهمزة فيها كهي في أَدْؤُرٍ، وقيل: هي مَفْعَلَة من الأوْنِ أو الأيْن والأول أصح. اهـ. **وفي المصباح** المؤنة الثِّقل وفيها لغات إحداها على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة والجمع مؤونات على لفظها ومَأنت القوم أمأنهم مهموز بفتحتين واللغة الثانية مؤنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤنة خفيفة

والجمع مؤن مثل غرفة وغرف والثالثة مونة بالواو والجمع مون مثل سورة وسور، يقال منها مانه يمونه من باب قال. اهـ بحروفه.

قوله: (**أي من قبل أن يرى دلائل الموت**) يعني أن فيه مضافًا مقدّر أو المراد بدلائله أماراته ومقدماته.

الإمهال ويتعذر عليه الإنفاق ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ هلا أخرت موتي ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى زمان قليل (﴿فَأَصَّدَّقَ﴾) فأتصدق وهو جواب «لولا» ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المؤمنين. والآية في المؤمنين. وقيل: في المنافقين. (﴿**وأكون**﴾ **أبو عمرو**) بالنصب عطفًا على اللفظ، والجزم على موضع ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ عن الموت ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ المكتوب في اللوح المحفوظ (﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿**يعملون**﴾ **حماد ويحيىٰ**)، والمعنى أنكم إذا

قوله: (﴿فَأَصَّدَّقَ﴾) بإدغام التاء في الأصل في الصاد مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾. **قوله**: (﴿**وأكون**﴾) بالواو بعد الكاف ونصب النون (**أبو عمرو**) عطفًا على ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ والباقون بحذف الواو لالتقاء الساكنين وجزم النون.

قوله: (﴿**يعملون**﴾) بالياء التحتية على الغيبة (**حماد**) بن زياد عن عاصم ورُواته أربعة أبو عمرو وحفص بن سليمان وأبو بكر شعبة بن عياش وحماد بن زياد والمفضل بن محمد (**ويحيىٰ**) بن آدم عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم ولأبي بكر بن عياش ثلاث روايات، رواية يحيىٰ بن آدم وأبي يوسف الأعشى وأبي صالح البُرجمي. وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب.

وعبارة تفسير النيسابوريّ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ على الغيبة يحيىٰ وحماد انتهى. **وعبارة كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة مسألة**. وروى أبو بكر في غير رواية الأعشى والبُرجمي «بما يعملون» بالياء النقط من تحت الحرف والباقون بالفوقية على الخطاب.اهـ. **وعبارة كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** واختلف في (﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) فأبو بكر بالغيب والباقون بالخطاب. **وعبارة السمين** وقرأ أبو بكر «بما يعملون» بالغيب والباقون بالخطاب.اهـ. **وعبارة الخطيب** قرأ شعبة بالياء التحتية على الغيبة على الخبر عمّن مات. وقال هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب.اهـ. **وعبارة البغوي** رحمه الله قرأ أبو بكر بالياء

علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه، وأنه (هاجم لا محالة)، وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب غيره، لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب.

وقرأ الآخرون بالتاء. اهـ. **وعبارة تفسير الكبير** وقرأ عاصم «يعملون» بالياء. **وفي فتح القدير للشوكاني** رحمه الله. قرأ الجمهور: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالفوقية على الخطاب، وقرأ أبو بكر عن عاصم والسلميّ بالتحتية على الخبر. اهـ فافهم. **قوله**: (هاجم) في المغرب الهجوم الإتيان بغتة والدخول من غير استيذان من باب طلب. اهـ. **قوله**: (لا محالة) بمعنى لا بد.

تمّت سورة المنافقين والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين